

4 me Année, No. 180

Lundi - 14 - 12 - 1936

بدل الاشتراك عن سنة

مـ

٦٠ فى مصر والسودان

٨٠ فى الأقطار العربية

١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى

١٢٠ فى العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

مكتب الاعلانات

٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة

تليفون ٤٣٠١٣

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

بشارع البدولى رقم ٣٢

عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العــــدد ١٨٠ « القاهرة فى يوم الاثنين ٣٠ رمضان سنة ١٣٥٥ — ١٤ ديسمبر سنة ١٩٣٦ » السنة الرابعة

فهرس العـــــدد

عرض وسبر

بين سلطان وسلطان

يا كافرين بالشعر والأحلام والحب ! أتريدون بعد حادث اليوم معجزة ؟

هذا ملك المغرب ، وامبراطور المشرق ، وإله البحر ، وصاحب العرش المحمول على أعناق الشعوب ، ووارث التاج المتألق على جباه القرون ، وخليفة المجد المحفوف بالجلال الباهر والسؤدد العريق والسنّة المقدسة ، وسليل الدم السّرى الذى يتدفق بالحياة فى هدوء ويجيش بالنشاط فى ثبات ، وربيب البيئة التى تعظم القوانين وتقدس التقاليد وتعبد الامبراطورية ؛ هذا هو ينزل عن العرش ، ويُلقى التاج ، وينبذ اللقب ، ويهجر الوطن ، ويلحق بحبيبته أميراً لا يميزه شعار ، وإنساناً لا تحدوه أبّهة ، وفرداً لا تصحبه حاشية !

يا جاحدين لسلام الروح وراحة القلب ورضى العاطفة ، أتمارون بعد اليوم فى هذه الآية ؟

زعمتم أن الأرض بُدّلت غير الأرض ، والدنيا أصبحت

غير الدنيا ، فقدّرتم سعادة الحياة بالوزن والكيل والمساحة ، وقلتم أوْدى منطق العقل بإلهام القلب ، وأزرتْ مادية العلم بروحية الأدب ، وغلبت أثرة المنفعة على إيثار التضحية ؛ ورحتم تتجهزون بما صنع العلم من صواعق وزلازل وبراكين ، لتنسفوا ما قام من المدنية ، وتقتلوا ما بقى من الإنسانية ، وتقرّوا فى ملكوت الله نظاماً لا يعيش فيه جمال ولا خير ولا حق ؛ فقام أكبر ملك فى العالم ، على أظهر مكان فى الأرض ، يعلن أن عظمة الملك لا تضمن سعادة النفس ، وسلطان العرش لا يعوض حرية الإرادة ، وجواهر التاج لا تساوى بَسْمةَ الحبيب !

* * *

سبحانك يا بديع الحياة والحب ! ما هذا الذى تضعه فى العيون فنسميه سحراً ، وتجريه على الشفاه فندعوه جاذبية ، وترسله فى الأعضاء فيكون رشاقة ؟ ما هذا الذى تودعه هذا الجسم الرقيق الناعم فيقهر سطوة الجبار ، ويُسوّى أخدع المتكبر ، ويطأطئ إشراف الملك ؟ أهو إعجاز القدرة التى تغلب بالأضعف ؟ أم سر الحكمة التى تمكر بالأقوى ؟ أم روح القدس الذى ينفّذ قانون الحياة فى هذا الكوكب ؟

بين سُورة المُلك وأمانة التاج ، وبين فتنة الجمال ومحنة الهوى ، وقف العاهل ادوار الثامن يتحسس فى مطاوى الغيب مشيئة القدر : أيعيش فى نفسه ولنفسه ، أم يعيش فى جنسه وللناس ؟ أيظل رمزاً لأمته يخفق فوق رءوسها كالعلم ، ويتغلغل فى قلوبها كالايمان ، ويتردد على ألسنتها كالصلاة ، ثم لا يكون له ما للعامل الفقير من وجود مستقل وإرادة مختارة ؛ أم يرتد إلى طبيعة الانسان فيضرب بنفسه فى الزحام ، ويبحث عن نصيبه فى الرغام ، ويضطلع بعبئه ككل فرد ؟؟ أيبقى أسير التقاليد التى نسجتها عناكب الماضى البعيد على نوافذ البلاط والبرلمان ، فلا يفكر إلا بإيحاء ، ولا يتحرك إلا بميقات ، ولا يتكلم إلا بمقدار ، ولا يعمل إلا بإشارة ؛ أم يتمرد تمرد الحى المريد ، فيدفع من أمامه ذلك الحاجز الصفيق الثقيل ، ويجذ من ورائه ذلك الذيل العتيق الطويل ، ثم ينطلق فى أجواء الله انطلاق الطائر المرح ، يقع فى كل روضة ، ويهبط على كل غدير ، ويملى أليفه فوق عروش الورود ، وعلى بُسُط المروج ، وبين أفنان الخمائل ؟ ؟

كانت هذه الآراء الحائرة تعصف نكباء فى رأس الملك ؛ بينما كان فى (لندن) الواجبُ المرير الخشن يتمثل فى وجه (بلدوين) الحازم الجبار ، ومن خلفه برلمان متحد يؤيد دستوره ، وملكوت واسع يريد امبراطوره ، وشعب مخلص يحب ملكه ؛ وفى (كان) حب عنيف مُلح يشرق فى قسمات (مسز سمبسون) الفاتنة ، ومن ورائه إنسان يطلب حريته ، وقلب ينشد سعادته ، وحى يبتغى حظه من الحياة

وهنا يتدخل القدَر الذى يحكم وحده على الملوك ، فيحل عقدة الرواية التى يشهدها العالم كله ، على غير ما يحلها به الروائيون الخياليون ، فينصر تجديد الطبيعة على تقليد العرف ، ويُغلّب سلطان الحب على سلطان الواجب ، ويرفع سرير الأسرة على عرش الأمة !

* * *

يا كافرين بالشعر والأحلام والحب ! أتريدون بعد حادث اليوم معجزة ؟

أيها الناسون ما صنعت حواء بأبيكم آدم ! لا تحسبوا أن الماسونية والجاسوسية والشيوعية والصهيونية والفاشية والنازية هى التى تقلب فى السر أو فى العلن أوضاع المجتمع . فتشوا فى زوايا كل أولئكم عن المرأة ! وإذا كانت مأساة البرنس ادوار تذكرنا بمأساة البطل أنطوان ، فليست كليوبطرة أول النساء ، ولا مسز سمبسون آخرهن ؛ وسيظل هذا الجنس القوى الخفى الغامض سلطان الكون المطلق ؛ فهو محور الطموح والمنافسة ، ومصدر الخير والشر ، ومنبع السرور والألم . ولئن خضع له اليوم ادوار ، فمن قبله خضع نابليون ، ومن قبل نابليون خضع الرشيد وقال فيما حدَّث الرواة :

ملك الثلاث الآنسات عنانى ... وحللن من قلبى بكل مكان

مالى تطاوعنى البرية كلها ... وأطيعهن وهن فى عصيانى

ما ذاك إلا أن سلطان الهوى ... ـ وبه قوين ـ أعزُّ من سلطانى

احمد حسن الزيات

٦ ـ القلب المسكين

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

أما صاحبُ القلبِ المسكين فقام ليخرجَ ، وقد تفارَطتْه الهمومُ وتسابقت إليه فانكسر وتفتّر ؛ وكأنما هو قد فارق صاحبته باكياً وباكيةً من حيث لا يرى بكاءَه غيرُها ولا يرى بكاءَها غيرُه

ورأيته ينظر إلى ما حوله كأنما تَغشَّى الدنيا لونُ نفسه الحزينة إذ كانت نفسُه ألفت ظلَّها على كل شيء يراه ؛ وجعل يدلف ولا يمشي كأنه مثْقلٌ بحمل يحمله على قلبه

إنه ليس أخفُّ وزناً من الدمع ، ولكن النفوس المتألمة لا تحمل أثقل منه ، حتى لينتثرُ على النفس أحياناً وكأنه وكأنها بناءٌ قائم يتهدَّم على جسم . وبعضُ التنهدات - على رقتها وخفتها - قد تشعر بها النفس في بعض همّها كأنها جبل من الأحزان أخذته الرَّجفةُ فادت به ، فتقلقل ، فهو يتفلَّق ويتهاوَى عليها

آه حين يتغير القلبُ فيتغير كل شيء في رأى العين .

لقد كان صاحبنا منذ قليل وكأن كل سرور في الدنيا يقول له : أنا لك ؛ فعاد الآن وما يقول لك أنا لك إلا الهمّ ؛ والتقى هو والظلام والعالم الصامت

جعل يدلُف ولا يمشي كأنه مثقل بحمل يحمله على قلبه .

ومتى وقع الطائر من الجو مكسورَ الجناح انقلبت النواميس كلُّها معطلة فيه ، وظهر الجو نفسُه مكسورا في عين الطائر المسكين ، وتنفصل روحُه عن السماء وأنوارها حتى لو غمره النورُ وهو ملقىً في التراب لأحسَّه على التراب وحده لا على جسمه

ثم خرجنا فانتبه صاحبنا مما كان فيه ؛ وبهذه الانتباهة المؤلمة أدرك ما كان فيه على وجه آخر فتعذَّب به عذابين : أما واحدٌ فلأنه كان ولم يَدُمْ ؛ وأما الآخر فلأنه زال ولم يُعدْ .

والسرورُ في الحب شيء غير السرور الذي يعرفه الناس ، إذ هو في الأول روحٌ تتضاعف به الروح ؛ فكل ما سرك وانتهى شعرتَ أنه انتهى ؛ ولكن ما ينتهي من سرور العاشق المستهام يشعره أنه مات ، فله في نفسه حزن الموت وهمُّ الثكل ؛ وله في نفسه همُّ الثكل وحزن الموت

***

وينظر صاحبُ القلب المسكين فاذا الأنوار قد انطفأت في الحديقة ، وإذا القمر أيضاً كأنما كان فيه مسرح وأخذوا يطفئون أنواره

كان وجهُ القمر في مثل حزن وجهِ العاشق المبتعد عن حبيبته إلى أطراف الدنيا . فكان أبيضَ أصفرَ مكمدا ، تتخايلُ فيه بمعاني الدموع التي يُمسكها التجلد أن تتساقط

كان في وجه القمر وفي وجه صاحبنا معاً مظهرُ تأثير القدَر المفاجئ بالنكبة

وبدت لنا الحياةُ تحت الظلمة مقفرة خاوية على أطلالها فارغة كفراغ نصف الليل من كل ما كان مُشرقاً في نصف النهار . يا لك من ساحر أيها الحبُّ ! إذ تجعل في ليل العاشق ونهاره ظلاماً وضوءاً ليسا في الأيام والليالي

أما الحديقةُ فلبسها معنى الفراق ؛ وما أسرعَ ما ظهرت كأنما يبست كلها لتوِّها وساعتها ، وأنكرها النسيم فهرب منها فهي ساكنة ؛ وتحولت روحها خشبيَّة جافة ، فلا نضرة فيها على النفس ؛ وبدت أشجارها في الظلام قائمــة في سوادها كالنائحات يلطمن ويُولولن ، وتنكر فيها مشهدُ الطبيعة كما يقع دائماً حين تنبتُّ الصلة بين المكان ونفس الساكن فيه

ماذا حدث ؟

لا شيء إلا ما حدث في النفس ؛ فقد تغيرت طريقة الفهم ، وكان للحديقة معنى من نفسه فسُلب المعنى ، وكان لها فيض من قلبه فانحبس عنها الفيض ، وبهذا وهذا بدت في السلب والعدم والتنكر ، فلم يبق إبداعٌ في شيء مُبدَع ، ولا جمال في منظر جميل

أ كذا يفعل الحب حين يضع في النفس العاشقة معنى مُثيلا من معاني الفناء كهذا الفراق ؟

أ كذا يترك الروح إذا فقدت شيئاً محبوباً ، تتوهم كأنها ماتت بمقدار هذا الشيء ؟

مسكين أنت أيها القلب العاشق ، مسكين أنت !

***

ومضينا فلنا إلى ندىٍّ نجلس فيه ، وأردتُ ممابثة صاحبنا

المتألم بالحب ، والمتألم بأنه متألم ، فقلت له : ما أراك إلا كأنك تزوجتها وطلقتها فتبعتها نفسُك

قال : آه . من أنا الآن ؟ وما بالُ ذلك الخيال الذى نسَّق لى الدنيا فى أجمل أشكالها قد عاد فبعثرها ؟ أتدرى أن العالم كان فى ثم أخذ منى فأنا الآن فضاء فضاء

قلت : أعرف أن كل حبيب هو العالم الشخصى لمحبه

قال : ولذلك يعيش المحب المهجور ، أو المفارق ، أو المنتظر وكأنه فى أيام خلت ؛ وتراه كأنما يجيء إلى الدنيا كل يوم ويرجع

قلت : إن من بعض ما يكون به الجمال جمالاً أنه ظالم قاهر عنيف كالملك يستبدّ ليتحقق من نفاذ أمره ؛ وكأن الجميل لا يتم جماله إلا إذا كان أحياناً غير جميل فى المعاملة

قال : ولكن الأمر مع هذه الحبيبة بالخلاف ؛ فهى تطلبنى وأتنكبها ، وهى مقبلة لكنها مقبلة على امتناعى ؛ وكأنها طالب يعدو وراء مطلوب يفرّ ، فلا هذا يقف ولا ذلك يدرك

قلت : فان هذه هى المشكلة ، ومتى كانت الحبيبة مثلها ، وكان المحب مثلك ، فقد جاءت العقدة بينهما معقودة من تلقاء نفسها فلا حل لها

قال : كذلك هو ، فهل تعرف فى البؤس والهم كبؤس العاشق الذى لا يتدبر كيف يأخذ حبيبته ، ولكن كيف يتركها ؟ ماهى المسافة بينى وبينها ؟ خطوة ، خطوتان ؟ كلا ، كلا ؛ بل فضائل وفضائل تملأ الدنيا كلها . إن مسافة ما بين الحلال والحرام متراخية ممتدة ذاهبة إلى غير نهاية . وإذا كان الحب الفاسد لا يقبل من الحبيب إلا (نعم) بلا شرط ولا قيد لأنه فاسد ، فالحب الطاهر يقبل (لا) لأنه طاهر ؛ ثم هو لا يرضى (نعم) إلا بشرطها وقيدها من الأدب والشريعة وكرامةِ الانسانية فى المرأة والرجل

وإذا لم ينته الحب بالاثم والرذيلة ، فقد أثبت أنه حب ؛ وشرفه حينئذ هو سرُّ قوته وعنصرُ دوامه

أتعرف أن بعض عشاق العرب تمنى لو كان جملاً وكانت حبيبته ناقة ...؟ إنه بهذا يودُّ ألاّ يكون بينهما العقلُ والقانونُ ، وهذا الحرمانُ الذى يسمى الشرف ، وألاّ يكون بينهما إلا قيدُ غريزتها الذى ينحلُّ من تلقاء نفسه فى لحظةٍ ما ، وأن يُترك لقوته وتترك هى لضعفها ؛ والقوة والضعف فى قانون الطبيعة هما مِلك وتمليك واغتصابٌ وتسليم

قلت : وهذا ما يفعله كل عاشق لمثل هذه الراقصة إذا لم يكن فيه إلا الحيوان ، فان بينهما قوةً وضعفاً من نوع آخر ، فمعه الثمن وبها الحاجة ، وهما فى قانون الضرورة مِلك وتمليك

قال : وهذا مما يقطّع فى قلبى ، فلو أن الأمة ديناً وشرفاً لما بقى موضع الزوجة فارغاً من رجل ، وإن هذه وأمثالها إنما ينزلن فى تلك المواضع الخاليةَ أولَ ما ينزلن ، فكل بنيٍّ هى فى المعنى دينٌ متروك وشرف مبتذَل فى الأمة

***

قلت : فحدثنى عنك ما هذا الوجدُ بها وما هذا الاحتراق فيها ، وأنت قد كنت بين يديها خيالياً محضاً كأنما جمعتها فى حواسك فأخذتها وتركتها فى وقت معاً . وحواسك هذه لا تزال كما هى بل هى قد زادت حِدّة ، فكما صنعت لك من قرب تصنع لك من بُعد

قال : أنا فى محضرها أحبها كما رأيت بالقدر الذى تقول هى فيه إنك لا تحبنى ، إذ كان بيننا آخر اسمه الخُلق ؛ ولكنى فى غيابها أفقد هذا الميزان الذى يزن القدار ويحدده . وإذا كنت لم تعلم كيف يصنع العاشق فى غيبة المشوق ، فاعلم أن كبرياءه حينئذ لا ترى بازائها ما تقاومه فتتخلى عنه وتخذله ، وفضيلته لا تجد ما تستَعْلِنُ فيه فتتوارى وتدعه ، وشخصيته لا تجد ما تبرز له فتختفى وتهمله ؛ فما يكون من كل ذلك إلا أن يظهر المسكين وحده بكل ما فيه من الوهَن والنقص وحدّة الشوق ، وهنا ينتقم الحب مما زوَّرت عليه الكبرياء والفضيلة والشخصية فيضرب بحقائقه ضرباتٍ مؤلمةً لا تقوم لها القوة ، ويجعل غياب الحبيب كأنه حضوره مستخفياً لرؤية الحقيقة التى كتمت عنه . وكم من عاشقة متكبرة على من تهواه تصدُّه وتباعده ، وهى فى خلوتها ساجدة على أقدام خياله تمرغ وجهها هنا وهنا على هذه القَدَم وعلى هذه القدم

ألا إنه لا بد فى الحب من تمثيل رواية الامتناع أو الصد أو التهاون أو أى الروايات من مثلها ؛ ولكن ثياب المسرح هى دائماً ثياب استعارة ما دام لابسها فى دوره من القصة

***

ثم وضع المسكين يده على قلبه وقال : آه . إن هذا القلب يغاضب الحياة كلها متى أراد أن يشعر صاحبه أنه غضبان

مَن مِن الناس لا يعرف أحزانه ، ولكن من منهم الذى يعرف

أسرار أحزانه وحكمتها ؟ أما إنه لو كُشف السر لرأينا الأفراح والأحزان عملاً في النفس من أعمال تنازع البقاء ؛ فهذا الناموس يعمل في إيجاد الأصلح والأقوى ، ثم يعمل كذلك لإيجاد الأفضل والأرقّ . ومن ثم كانت آلام الحب قويةً قويةً حتى لكأنها في الرجل والمرأة ، تهيئ أحد القلبين ليستحق القلب الآخر

آه من هذه اللواعج ! إنها ما تكاد تضطرم حتى ترجع النفس وكأنها موقد يشتعل بالجمر ، وبذلك يُصْهَرُ المعدن الانساني ويُصنع صنعة جديدة ؛ وإلى أن ينصهر ويتصفى ويُصنع ، ماذا يكون للانسان في كل شيء من حبيبه ؟

يكون له في كل شيء روحه الناري

* * *

قلت : بَخٍ بَخٍ(1) . هكذا فليكن الحب . إنها حين تهيج في نفسك الحنين إليها تعطيك ما هو أجمل من جمالها وما هو أبدع من جسمها ، إذ تعطيك أقوى الشعر وأحسن الحكمة .

قال : وأقوى الألم وأشدَّ اللوعة . ياعجبا ! كأن الحياة لا تقدم في عشق المحبوب إلا عشقها هي ، فاذا وقعت الجفوة ، أوحتُم البينُ ، أو اعترى اليأس — قدَّم الموت نفسه فكل ذلك شبه الموت

إن الحزن الذي يجيء من قبل العدو يجيء معه بقوة تحمله وتتجلد له وتكابر فيه ، ولكن أين ذلك في حزن مبعثُه الحبيب ؟ ومن أين القوة إذا ضعف القلب ؟

* * *

قلت : لا يصنع الله بك إلا خيراً . فاذا كان غدٌ وانسلخ النهار من الليل ، جئنا إليها فرأيناها في المسرح ، ولعل الأمر يصدر مصدراً آخر . قال : أرجو

ولم يكد ينطق بهذه الرجيَّة حتى مرَّ بنا سبعة رجال يقهقهون ، ثم تلاقينا وجئنا ؛ وياويلتنا على المسكين حين علم أنها رحلتْ ؛ لقد أدرك أن الشيطان كان يضحك بسبعة أفواه . . .

من قوله : أرجو

ولماذا رحلت ؟ لماذا . . . ؟

وأما هو ؟

(يتبع — طنطا) مصطفى صادق الرافعي

(1) كلمة الاعجاب تقال عند الرضى والمدح ؛ ومثلها (زه) وهذه فارسية

سالزبورج

مدينة المطر والموسيقى

بقلم سائح متجول

لم يطل بنا المكث في ربوع سويسرا الجميلة فغادرنا « تسيريخ » (زوريخ) إلى ألمانيا عن طريق شافهاوزن ، وقصدنا « منشن » (ميونيخ) عاصمة بافاريا عن طريق أوجسبورج واولم ؛ وفي أثناء الزيارة الجمركية عند الحدود الألمانية ، أحصى الموظف المختص ما معنا من صنوف النقد الأجنبي وقيمه وأثبتها بعد الاطلاع عليها في شهادة خاصة ؛ وهذا إجراء لا بد منه لكي يستطيع السائح أن يخرج من ألمانيا بما يحمل من صنوف النقد الأجنبي، ووصلنا إلى « منشن » عصراً بعد رحلة ممتعة خلال سهول بافاريا الغنية ، فألفينا المدينة تموج بالوافدين عليها من السياح من مختلف الأقطار ، وألفينا الفنادق غاصة بالزائرين ، وقد رفعت أجورها جميعاً عن الأسعار الرسمية المدونة في سجل الفنادق الألمانية ؛ وقد كانت دورة الألعاب الأولمبية قد بدأت في برلين قبل ذلك بأيام ، فلم نرغب في الذهاب إليها اجتنابا لضجيجها وحياتها الصاخبة ، وآثرنا البقاء في منشن وبافاريا فلم نجد ما كنا ننشد من الراحة والهدوء

وقد تحدثنا في فصل سابق عن « منشن » ومناظرها وعن أبهاء البيرة الضخمة التي اشتهرت بها ، فلا نعود إلى ذلك . وإنما نلاحظ هنا فقط أن الفنادق الألمانية لا ترضى بالأسعار الرسمية التي تقيدت بقبولها والتي يعول عليها السائح ، وهي مدونة في دليل الفنادق الرسمي الذي يقدم اليك ؛ وإن السائح يتكبد في صرف تحاويل السياحة « رجستر مارك » خسائر لا مبرر لها ، فكل تحويل بخمسين ماركا أو أقل يؤخذ عنه « مارك » ويؤخذ عن المائة مارك ونصف مارك ، وهكذا فاذا ذكرت أنه يؤخذ مثل هذه النسبة أو أكثر عند شراء التحويل ، فان « العمولة » قد تصل بذلك إلى أربعة أو خمسة في المائة ، هذا والسائح الذي يريد أن يحول ما تبقى لديه من النقد الألماني بعد انتهاء زيارته يتكبد في تحويله خسارة لا تقل عن عشرين أو خمسة وعشرين في المائة ، وهذه نسبة غير معقولة

أضف إلى ذلك أن نفقات المعيشة فى ألمانيا ليست من الرخص كما يقال ، وهذا بالرغم مما وضعته ألمانيا من تسهيل فى مسالة النقد بتقرير «الرجسترمارك» للسياح ؛ وتمنح ألمانيا على سككها الحديدية تخفيضاً قدره ستون فى المائة ، ولكنها تشترط فى مقابل ذلك أن يقيم فى أرضها سبعة أيام كاملة على الأقل ، وهذا شرط مرهق بلاريب ؛ لأن إيطاليا تمنح للاجانب تخفيضاً قدره خمسون فى المائة أو أكثر على سككها الحديدية دون اشتراط الاقامة مطلقاً ، وكل ما هنالك أنك تزور معرضاً فى إحدى المدن الايطالية التى تمر بها وقد لا يستغرق ذلك أكثر من ساعتين

* * *

غادرنا « منشن » بقطار الساعة الثانية مساء إلى مدينة سالزبورج ، فوصلنا إليها بعد رحلة قصيرة وتمت الاجراءات الجركية بسرعة فى الجانب النمسوى من المحطة ؛ ثم جزنا إلى خارج المحطة ، ولشد ما كان سرورنا ودهشنا إذ التقينا فى فنائها بصديقنا القديم الصحفى النابه الأستاذ محمود أبو الفتح ، فبادلناه تحية حارة ، وتواعدنا على التزاور واللقاء ، ولكن الظروف لم تسمح للأسف بتلاقينا بعد ذلك ؛ وقد علمنا فيما بعد من صديقنا الأستاذ توفيق الحكيم أنه كان فى نفس الوقت الذى زرنا فيه سالزبورج يقبع فى فندق بقرب فندق «شتات ميران» الذى نزلنا فيه ؛ ومع أننا كنا نجوس خلال المدينة فى كل وقت بالنهار وبالليل ونغشى جميع المقاهى والمنتديات التى ذكر لنا الصديق أنه كان يغشاها أيضاً ؛ فاننا لم نعرف بوجوده ولم نقع له على خبر أو أثر ؛ ولعله كان يؤثر الاعتكاف والاحتجاب ليستجم كل تفكيره وخياله ثم يطالعنا بكتابه الذى اعتاد أن يخرجه كل موسم ؛ وعلى أى حال فقد كان المطر ينهمر باستمرار فى سالزبورج ، ويحمل ذوى الأمزجة الرقيقة على الاحتجاب والاعتكاف . أما نحن فقد كنا نجد فى هذا الغيث المنهمر الذى اشتهرت به سالزبورج ظاهرة بديعة من ظواهر الطبيعة ، وكنا نستقبله باسمين مرحين رغم أنه كان يغمرنا بالبلل ليل نهار . والواقع أن المطر يغمر هذه المدينة الرشيقة بنوع من الصباحة المنعشة ، كما تغمرها الشمس أيام الصحو بضوئها المنعش ؛ وحينما يسقط المطر تقدم إليك تلك المدينة منظراً بديعاً ، فالمظلات تنتشر فوق الرؤوس ، ويرتدى الناس معاطف المطر الجلدية ؛ وترى المطر يقطر من المارة ، ولكن حركة المدينة تبقى على حالها ؛ ومما يلفت النظر بنوع خاص منظر السيدات وهن يرتدين المعاطف الجلدية أو معاطف صنعت من ورق خاص يسيل عليها المطر وتحمى من البلل ؛ وإذ كانت سالزبورج وقتئذ تموج بالوافدين لحضور حفلاتها الموسيقية الشهيرة ، فقد كنا نرى أسراب الحسان يرتدين هذه المعاطف الورقية المختلفة الألوان فوق ثياب السهرة ، وينساب الماء فوق معاطفهن ، كما ينساب السحر من زينتهن وعطرهن ، وهن ضاحكات مرحات لا يزعجهن البلل

وإذا كانت سالزبورج تشتهر بعطرها الذى لا ينقطع حتى فى أشد أيام الصيف ، والذى يغمرها دائماً بالبلل المنعش ، فانها تشتهر أيضاً بصفة أخرى ، هى أنها مدينة الموسيقى ؛ وشهرتها عالية تدعو اليها الزائر من أقاصى العالم ؛ ولا غرو فهى مسقط رأس موتسارت ، وفيها بزغ مجده ؛ وما زال المنزل الذى ولد فيه موتسارت قائماً فى سالزبورج ، وفيه الجناح الذى قضى فيه طفولته ؛ وقد حول هذا الجناح اليوم إلى متحف يحج إليه المعجبون بذكرى الموسيقى الكبير ، ويتأملون فيه ذكرياته وآثاره ؛ وإنك لتشعر حين ترى هذا المنزل المتواضع الذى حرص أولو الأمر على استبقائه بشكله القديم ؛ وحين تطوف بغرفه الضيقة ذات الأسقف الخفيضة ، بنوع من التأثر عازجه الخشوع ؛ ذلك أنك ترى فى كل زاوية من المكان أثراً حياً لذلك الذى بهر العالم وسحره منذ طفولته بروائع أنغامه وروائع مقطوعاته ؛ فهنالك مسودات لكثير من قطع موتسارت كتبت بخطه ، وهنالك رسائل كثيرة ، وصور عديدة تمثله فى مناسبات وحفلات مختلفة ؛ وهنالك جمجمة الموسيقى الكبير ذاتها ، لا نجد لوضعها معنى بين هذه القطع والآثار الفنية ؛ ثم هنالك مناظر سحرية تمثل كثيراً من القطع التمثيلية التى وضع موتسارت مقطوعاتها الموسيقية واشترك فى إحيائها مثل « الدون جوان » و « زواج فيجارو » و « المزمار المسحور » و « كوزى فان توتى » و « اختطاف الحريم » وغيرها ؛ وهذه المناظر آية فى الدقة والابداع لأنها تمثل المناظر والأشخاص والألوان مجسمة واضحة ، وتدل على مبلغ ما انتهى إليه المسرح فى عصر موتسارت أعنى فى أواخر القرن الثامن عشر من التقدم ؛ ولفت نظرنا بنوع خاص من بين هذه الذكريات عدة اعلانات مسرحية ترجع إلى سنة ١٧٨٠ و ١٧٨١ ، عن روايات يشترك فى إحيائها موتسارت وقد ذكر فيها أنه يتولى قيادة الموسيقى ، وأن الأثمان عادية أومخفضة ؛ ومازلنا نرى هذه الأوضاع ونقرأ هذه العبارات التى كان يتخذها المسرح منذ قرن ونصف للاعلان عن نفسه ،

فيما يصدره اليوم من الاعلانات والبرامج ؛ وإنك لتكاد تقرأ في هذه الغرف المتواضعة ، وفي هذه الذكريات المؤثرة طرفاً من حياة ذلك الذي لم تغنه عبقريته الرائعة شر الحاجة ؛ ذلك أن موتسارت قد بهر مجتمعات عصره بسمو فنه وافتتانه ، ونهل من منهل المجد ما شاء ، ولكنه لبث طول حياته يتخبط بين غمار الفاقة ، وتوفى مثقلاً بالبأساء والدين

وقد أسبغ تراث موتسارت وذكرياته على سالزبورج شهرة موسيقية عالية ما زالت تحتفظ بها حتى اليوم . ولسالزبورج موسم موسيقى مشهور تقيمه في كل صيف في يوليه وأغسطس ، ويشترك في إحيائه أقطاب الموسيقى العالميون مثل برونو فالتر ، وفيلكس فينجارتنر ، وأرتورو توسكانيني ؛ وتمثل في هذا الموسم عدة من القطع المسرحية الخالدة التي وضع موسيقاها موتسارت وبيتهوفن وشوبرت وغيرهم من أقطاب الفن ، وتنظم حفلات موسيقية رائعة تعرض فيها قطع وأناشيد من وضعهم ، وتقوم بتنفيذها فرقة موسيقية رائعة على رأسها أحد أقطاب العصر ممن ذكرنا ؛ وتقام إلى جانب هذه الحفلات حفلات موسيقية منوعة ، كلاسيكية أو عصرية أو كنسية ؛ وقد أعدت بلدية سالزبورج لاحياء هذه الحفلات الشهيرة مسرحاً شامخاً يمتاز بسذاجته وفخامته معاً ؛ وكنا في سالزبورج والموسم على أشده ، والمدينة تموج بالوافدين عليها من سائر الأقطار ، تغص بهم فنادقها ومقاهيها وطرقاتها ، ولم نستطع أن نشهد من هذه الحفلات الرائعة أكثر من حفلين لاستحالة الحصول على التذاكر ولأنه يجب للحصول عليها أن تشترى قبل الموعد بأيام إن لم يكن بأسابيع ، وكان مما شهدنا حفلاً موسيقياً رائعاً برآسة أرتورو توسكانيني ، نظم في ضحى يوم ماطر كثير البلل ، ومع ذلك فلم نتمكن من شهوده إلا بعد جهد جهيد

وتتخذ مدينة سالزبورج وسكانها خلال الموسم استعدادات خاصة لاستقبال آلاف الزوار الوافدين عليها ، وتنظيم معدات الاقامة ، وتيسير حركة النقل والتنزه ، ويرابط في الطرق المؤدية إلى المسرح كثير من رجال البوليس لتنظيم حركة المرور الهائلة التي تجرى حوله ، وتغص الشوارع المجاورة والمقاهي القريبة بالجماعات الأنيقة وأسراب الحسان من كل جنس وأمة ، وتسمع مختلف اللغات في كل مكان

***

وتقع سالزبورج في بسيط ساحر تحيط به الجبال الشاهقة ؛ ومن أشهر بقاعها ونزهها ضاحية «هيلبرون» وقصرها الشهير ، وتقع هيلبرون على مسيرة نصف ساعة من سالزبورج ، ويربطها بها ترام خاص ، يخترق طائفة من الربوع والمحلات المزهرة ؛ وقد قصدنا اليها ذات صباح ماطر ، وزرنا قصرها وبساتينها الشهيرة ، ورأينا في قصر هيلبرون مناظر عجيبة لم نرها في أي أثر آخر ؛ ذلك أنه قد نظمت في هذا القصر الغريب مغارات ومجالس جهزت كلها بنوافير من المياه تنبثق من كل نواحيها في أشكال وأوضاع ساحرة ؛ ورتبت هذه النوافير والمنابع الخفية في حديقة القصر حول المماشي والأحراج بنفس البراعة والدقة ، فكنا نتصور حين تطلق المياه من منابعها الخفية أننا أمام سحر ساحر ؛ وفي هذه المغارات والمجالس تماثيل بارزة وصور من الفسيفساء صنعت على مثل صور كنيسة القديس مرقص بالبندقية . وأما القصر ذاته فهو صرح فخم من صروح القرن السابع عشر ، وقد زينت غرفه وأبهاؤه بطائفة من الصور الثمينة ومجموعات من الأثاث القديم الذي يرجع الى عصر إنشائه ، وزينت سقفه بالأخص بصور ونقوش بديعة تأخذ الألباب بدقتها وروعتها . وقد فهمنا من دليل القصر ، أن الذي أنشأ هذا الصرح الفخم أسقف سالزبورج في ذلك العصر ، وأنه هو الذي أشرف على زخرفته وتنسيقه على هذا النحو المدهش ؛ ويقع القصر وسط بستان شاسع نظمت في إحدى جوانبه حظيرة ترتع الغزلان في جنباتها ، ويؤمها زوار القصر للتفرج وملاعبة الغزلان

وعلى الجملة فأن هذه المدينة الصغيرة — لأن سالزبورج مدينة صغيرة لا يتجاوز سكانها أربعون ألفاً — تبدو بفنادقها الأنيقة ، وطرقها وميادينها المنسقة في ثوب خاص من الحسن والرشاقة ، ينم عن حسن ذوق أهلها وسلطاتها البلدية ، ويزيد في سحر سالزبورج ومتاع الاقامة فيها ، فضلاً عن روحها الموسيقى ، ما فطر عليه أهلها من الأدب الجم والشمائل الرقيقة . وهذه في الغالب أخلاق أهل المدن السياحية ؛ بيد أنك تشعر في سالزبورج أن هذه الخلال الحسنة ترجع الى الفطرة أكثر منها الى مقتضيات المعاملة ، وتشعر أنها بعيدة عن الرياء المعسول الذي تأنسه في المجتمعات السياحية الأخرى

وغادرنا سالزبورج لأيام قلائل ، وقد ترك بللها المنعش ، وموسيقاها الساحرة ، وذكرياتها السريعة الممتعة في النفس أجمل الأثر

(***)

حبها ...

للأستاذ السيد محمد زيادة

عرفتها شاعرة فى عينيها الشعر ؛ وكأنما خلقها الله بهاتين العينين ليودع فيهما من أسرار الغيب ، ويصور بهما من معانى الخلود معنى الفن . . . فجاءتا هكذا ساحرتين لا يُفهم من أى نوع سحرُها ، ولا يُدرك إلى أى حد تأثيرهما ؛ وغاية ما يفهم أو يدرك منهما أنهما حين تلمحان تجرحان ، وحيث تنظران تأسران . . .

ويبدو فمها كأنه جمرة صغيرة . . .

ويُرى خداها كأن على كل منهما وردة فى لهب . . .

وعرفتها فى كل هذا وبكل هذا . . . عرفتها فى قصة حب أولها معروف وآخرها مجهول

كانت تغنى ، ووقع بصرى عليها لأول مرة فلا أدرى ما الذى نزل منها على نفسى فجال فيها ثم استقرّ فيها فما ذهب عنها وما هو ذاهب أبداً !! إلا أننى أذكر ... أذكر جيداً أنها كانت ترسل الأغانى من فمها ومن عينيها ، وأننى كنت أسمع الأغانى بأذنى وبقلبى

ولله ما أحلاها وقد بدت فى ثوبها الأسود الهفهاف ، فلا يظهر منها إلا وجه كأنه حلم بالوصل فى منام عاشق محروم ، ويدان كأنهما زهرتان غضّتان أسفرتا من جنة محجوبة

وقد أبى صدرها إلا أن يتيه ويشمخ ، وعزّ عليه أن يجد الرداء من كبريائه فنهض يتحرر ، وبدا كأن بينه وبين الرداء معركة . . .

وظهر جيدها فوق صدرها كشعاع الصبح يشرق من أعلى جبل . . .

ونظرتُ اليها فرأيتها كلها فناً منفرداً فى كل جزء منه فن منفرد ؛ ثم نظرت إليها فرأيتها نوراً تتشعب منه أنوار ، ثم هممتُ أنظر إليها فريع البصر ورُدّت النظرة إلى الفؤاد سهماً

ثم تنفست كالبلبل المتندى ، ثم نظرتْ إلى الحشد ثلاث نظرات وقعت إحداها علىّ فلتُ أتحاشاها ؛ ولكنها سبقت إلى القلب فاذا القلب عاصفة فى وسط عاصفة ؛ ثم راحت تغنى فأرسلت من بين شفتيها صوتاً فيه شذىً جعلنى أعتقد أن للورد تغريداً وأن هذا هو تغريد الورد ، وأعتقد أن سرباً من البلابل لو اجتمع على أن يأتى بمثل سحرها لما أتى إلا بما يثبت أنها ساحرة معجزة

* * *

وأحسستُ أنها كلما زادت فى غنائها آهة أو لفظة ربطت بين روحى وبينها آصرة ، وأنها كلما أصابتنى بنظرة مدت بين قلبى وبينها جسراً ... ثم أحسست أنها قربت منى حتى صارت جزءاً منى فيه روحى وقلبى وعقلى ؛ ولكنى بعد ذلك لم أحسب إلا أننى خبلت ، ولم أدرك أن هذا هو حبها يدخل من عينىّ ومن أذنىّ ...

وانتهيتُ من ساعتها ثملاً لأتم ليلتها أرقاً وبى من الجنون مس فى القلب يكاد يبلغ إلى مس فى العقل . . . هو الحب . . . هو الحب الوليد الجبار وُلد ثم أيفع وشب شبابه فى ساعة . . .

هو الحب خلق فى عينيها ليعيش فى قلبى . . .

هو الحب جاء يعلن أنه الحب بعذابه وسهره ، وأنه سيكون عقدة بعد عقدة ، ثم لا يكون إلا عقدة بعد عقدة . . .

هو سهمها جاء قاسياً ليقتل ثم اشتدت قسوته فلم يقتل ؛ وإنما جرح وأدمى ليظل الجرح جرحاً ويظل الألم ألماً ... ياليته قتل ...

* * *

ومرّ عام فى ليلة ، وآه منها ليلة قاسية وسمت كل دقيقة من دقائقها هاجساً من هواجسى فبتُّ أصبو بصبوة قلبى ، ثم أحار بنزاع عقلى ، ثم أغنى بعين أحلامى ، وأقطع مدى الليل بين الصبوة فى جهلها وغرورها ، والحيرة فى شدتها وعسرها ، والأحلام فى جلوتها وروائها ؛ وما أستطيع أن أخرج من هذا كله إلا باليأس منها حبيبة مُحبة ولو بعد حين . . .

ما كان لى أن أحبها وهى ذات جاه ، ولها سلطان وحاشية ، ويسعى إلى مجلسها من علية القوم فئة يبتغون الأنس والسمر ، وهى تدلّ عليهم دلال حسنها ودلال عفتها ، ثم تتدلى اليهم زهرة محصنة يُستنشى أرجُها ولا تُقطف ولا تمس

وما كان سهلاً على أن أيأس من حبها فى أول حبها ما دامت فى باطنى عين لا تنظر إلا إلى أعلى فلا تبصر إلا ما هو أعلى ، ولا مستحيل عندها ولا صعب . ما كان سهلاً علىّ أن أيأس

من حبها وعين خيالى كالمنظار تقرّب لعينىْ رأسى بعيدها وتهوّن مسافتها

* * *

وطلع الفجر يتثاقل كأنه لا يريد أن يطلع ... طلع وأنا بين شيطانين شيطانها الفاتن وشيطانى المفتون ، كلاهما يدعونى اليها بينما أتخوفها على نفسى ولا أبتغى اليها الوسيلة ؛ فمثل هذه التى ألفتْ تهافت العشاق ، وتغنَّتْ بآلام المدنفين ، لا يقع فى قلبها الحب إلا بمعجزة ....

ومضى الليل إلا قليلا وأنا فى أمرى كما أنا ، آخذ بقلبى وأرد بعقلى ! ولبثتُ يتقاذفنى تحذير اليأس وإغراء الأمل حتى يئست ونمت

ورأيت فى الرؤيا أنى أزورها وأنها ترحب بى ؛ وما أحسب إلا أن لقاءنا كان فى فردوس ، فقد رأيتها ترفل فى الخز وحول قامتها قوس من نور يتهادى على أفق من شفق ، وتحت قدميها ورد منثور كأنه طبقة من الأرض ، وهى تتخفف فى خطوها كأنها تسير على الماء

وسرتُ اليها أترفق بالورد ، ورأتنى أحييها بتحية قلبى فتبسّمتْ فتبسم فى ثغرها الأمل ، ثم تأودت فكأنها بانة عطفتها نسمة ، ثم قالت : تعال ...

ثم ... ثم قالت : أهلاً ... تعال ...

ووثب قلبى اليها ووثبت أدركه بين يديها فصحوت ...

* * *

وما تم الليل بانفلاق صبحه حتى تم فى قلبى الحب بانتصار أمله على يأسه ، فشعرت بها تغنى فى قلبى ، وتتجلى فى عقلى ، وتميس فى خيالى ؛ ثم شعرت بها توحى إلىّ وحى فتنتها لتؤدى به رسالة الجمال إلى الفن ، وتثبت فيه ارتباط الفن بالجمال

وعشتُ أستوحيها حيناً من الدهر طال ما طال ولم يكن فيه إلا اكتفائى من حبها بالوحى : أتنسّم حنان صوتها ، وأتفيأ ظلال مفاتنها ، وأعيش فى جوها وأناجيها وأستلهمها ... كل هذا وأنا بعيد أتباعد لأن قلبى جعل لها سلطاناً عليه وتهيَّبها وبذلك سد علىّ منافذى إليها

ولكن الحب أقوى وأشد ... فما زال بى حتى طغى علىّ فرحتُ أطلب زيارتها ؛ وهى كانت تعرف وحيها فى كلامى ولا تعرفنى ، فعرّفتُ نفسى إليها بكتاب ، ثم ذهبت أزورها فى موعد حددته ...

وكان موعدها فى ضحوة النهار من يوم مخلد ؛ قمت ليله أتطير بالشوق بين الفرح والرهبة ، ولا يتحول بصرى عن الساعة فى يدى وهى تبطئ كأنها نائمة ؛ وكلما عَبَرتْ من الليل ، فترة ودعتها من الفؤاد زفرة ، حتى أحسست فى نهاية الليل أن دمى قد احترق بنيران فكرى ، وأننى لم يبق منى إلا هيكل كل ما فيه أنه هيكل

وجاء الموعد الذى كنت أحسبنى لن أبلغه ... جاء الموقف الذى كان وراء العقل ... جاءت الساعة ، ولقيتها ... ولقيتها وأنا حى ! !

ما ذا كنت فى تلك اللحظة ؟ ... إنى كنت بركاناً وكنت زلزالاً وكنت ريحاً عاصفاً ...

وجلست هكذا فى قاعة الاستقبال بدارها ، ورأيت الأثاث فيها كأنه يهتز لينقلب على رأسى

أكان هذا حباً ؟ ... أكان هذا شوقاً ؟ ... لا والله إنه كان هذياناً ، ثم ظهرت فيه حكمة الحب عند ما لاحت الفتانة بالباب تتقدم إلىّ ؛ وحكمة الحب لا تظهر إلا حين يريد هو أن تظهر ...

* * *

جاءت تتيه فى مشيتها كأنها سكرى ، وكأن خطواتها همساتُ قلبٍ متيم الى صاحبه ، وكانت قد بارحتْ فراشها من لحظة ، فدخلتْ علىّ صاحيةً بكل جسمها إلا عينيها ، فقد كانتا ذابلتين كأنهما ما تزالان فى نعامهما

أما وجهها فكان بمسحة النوم عليه كأنه الفجر مائلاً بسناه يقبل باقة من الورد . . .

أما شعرها فكان ثائراً ثائراً كأنه ليل عاشق مؤرّق ، وكأنها استيقظت وما يزال رأسها نائماً فى ليله . . .

أما قوامها فكان سكَباً من البان فى سكب من الحرير . . .

أما هى — أما هى فكانت سحراً يمشى ويتبختر ، وكانت حسناً متكبراً يتواضع . . .

وجاءت تلوح لعينى متصوفة سكرى وقالت : أهلا بمن سبقه الينا شيطانه ! !

ثم صافحتنى بيد أنضر من الزهر ، واتخذتْ مجلسها ، ثم نظرتْ إلىّ تتأملنى فقلت : وكيف عرفت شيطانى ؟ . . .

قالت : أما شعر لى وتغنى بى وكتب عنى ؟ . . .

قلت : يا له حظاً سعيداً . . . ما كنت أحسب شيطانى موفقاً هذا التوفيق ! ! أو تقرأين ما يكتب ؟ !

قالت : بلى . . . وما أحب شياطين الشعراء الى نفوسنا نحن المغنيات . إن للمغنية فى كل شاعر تستميله مرآة ترى فيها نفسها ؛ والشاعر والمغنية كلاهما تمام الآخر فيما خلقا له

فتنهدتُ وقلت . إنك الآن توقدين رأسى

قالت : وكيف ذلك ؟

ثم انبسطت على شفتيها ابتسامة صغيرة بان فيها أنها داهية تمكر ؛ إلا أن مكرها فى ابتسامتها كان مكراً أحمر ملتهباً فى فتنة حمراء ملهبة ؛ فنظرت اليها أستزيده ثم قلت : كلامك هذا فيه نار أشعر بأجيجها فى رأسى

فقالت وهى تمكر مكراً أشد وأحلى : إذن لا يعجبك كلامى

قلت : كلا كلا ... وهل يُخرج مثل هذا الفم إلا ما يُحب ؟ إن النار التى فى كلامك نار لذيذة كنار الحب فى قلب المحب . لقد قلتِ إن الشاعر والمغنية كلاهما تمام الآخر ، فهل بعد هذا من سحر على لسان ؟ وهل بعد هذا من نار محبوبة فى كلام ؟ . إنك توقدين رأسى بهذه النار من هذا السحر فى هذا المعنى . . . إنك لو اطلعت الآن على أحشائى لعلمت أن الحسن يجنى ولا يشفق فى جنايته

تخفرتْ وكسرتْ فى عينيها لمحة وتهدل شعرها على وجهها ليستر روعة الخفر ، ثم فتحتْ بيديها بين ذوائبها منفذاً لقولها وقالت : هذا كلام شيطانك

قلت : بل هذا كلام قلبى ...

فرفعت بقية شعرها عن وجهها بيديها ورشقتنى بنظرة داوية سمعت لها رعداً فى صدرى وقالت : أنت إذن . .

ووقف لسانها ببقية الكلمة ، وقالت لى عيناها بنظرة أخرى حنون : أعمها . .

فقلت : أنا إذن . . أحب . .

فأطرقت تخبأت وجهها بين شعرها ثم هزت رأسها تنفض الشعر فرأيت وجهاً جديداً مشرقاً فى معنى الحب

يا عجباً !! يا عجبا ! إن كلمة الحب تسمعها غادة جميلة من محب هائم تجمل فى محياها المشرق قسمات جديدة

ونضح الحياء على جبينها قطرات كأنها قطرات الندى على أوراق وردة بيضاء ، فمسحتها بمنديلها وشخصتْ إلىّ فقلت : وجهك الآن مؤمن . . .

قالت : وهل كان من قبل كافرا ؟ وكيف يكون إيمان الوجوه وكفرها ؟

قلت : الوجوه تؤمن وتكفر إيمان القلوب وكفرها ! وقد رأيت وجهك الآن مؤمناً إيمان قلبك .. لكأنه كان يقول لى : إنى شاعر بك وشاعر بما بك ، لأنى أفهم حبك فهو وحى جمالى اليك ، وأعذر قلبك لأنه صيد عينى منك ...

أما سمعت وجهك يقول هذا ؟

فضحكت وقالت : وجهى لم يقل شيئاً ، وأنا لم أسمع منه شيئاً .. كيف يتكلم الوجه إلا بالفم ؟ . . ولكن فمى لم يقل هذا فمن أين جئت به ؟.

وضحكت ضحكة أخرى وهى تنتظر جوابى فقلت : لا يتكلم من الوجوه إلا الوجه الجذاب ، فتكون فى كل لمحة من لمحات عينيه عبارة ، وفى كل وقدة من وقدات وجنتيه همسة ، وفى كل ومضة من ومضات جبينه إشارة

أما رأيتنى أصغى إلى كلام وجهك بشغف ؟.

فضحكت مرة ثالثة ثم سكنت وجهها كأنها تتذكر ، ثم قالت : لا .... لم أر .. ولم أعقل ما تقول ..

قلت : آه !! ها هو ذا وجهك عاد يستهتر بإيمانه ... ها هو ذا يُدل ويتجنى

وسكتت هى تداعب يداً بيد وطرفها يختلس ما يختلس ، وسكت أنا ألتهمها بعينى فى سكونها الساحر المترنم .. ثم فاجأتنى بطرفها ينظر إلى كل أجزائى بكل ألحاظه وقالت : إنك لتنظر إلى بعين الشاعر المليئة بالحب فترى فى كل شىء منى شيئين متناقضين .

قلت : وأنظر إليك بهذه العين من ناحية القلب فأراك نشوة للقلب تأخذه بقوتها ؛ وأنظر إليك من ناحية العقل فأرى فيك غذاء للعقل ما أحوج العقل إليه !. ثم أنظر إليك بالعين المجردة من الشعر والحب فأراك فى أقل درجاتك جميلة عزيزة الجمال

فرأيتها كأنها تنظر إلى من خلال منظار لتتبين فى كلامى حقيقة .. ثم كأنها تقتنع .. ثم رأيتها تفكر . فحدقت فيها ملياً ثم قلت : أنت شاعره...

قالت وهي تمسك وراء شفتيها ابتسامة : وعلى هذا تكون أنت مغنياً . .

فانتفضت في مكاني وقلت : إذن أنت تعتقدين أنني جزء منك يكملك في أي أحوالك — إذن قد تحقق الحلم يا آنستي

فتأجّج خداها وأطرقتْ ، وعجز قلبي عن مقاومة ما فيه منها ، وحسبتُ أنه قضى

* * *

ثم إنا تفرقنا عاماً لا نملك أن نلتقي ، وكان هـذا العام مثار الوحي ومجال القلم

ثم تلاقينا في قصر جميل شِيد على جناح النيـــل بين الخضرة والماء

وجلست في بهو القصر أضم جوانحي على الأشواق والهموم ، وينبعث دخان التبغ من فمي مختلطاً بدخان كبدي المحترقة

ومضت أفكاري تصور لي ما سيكون في لقاء ساعة بعد فراق سنة ... وإني لمضطرب أجرّ نفسي جراً بين أول دقيقة الانتظار وآخرها ، إذ سمعت على الدرج المرمري وقع حذاء الحسناء تتوثب في نزولها كالظبية تتنقل في واديها بين الربى والسهول

وتلفتُّ فإذا هي مقبلة تمايد في وشاح فضفاض من حسنها ، وأمامها في الهواء نهدان خلقاً ليسبقاها أينما مشت

وكان وجهها يتلألأ بين ضوء الجبين ووهج الوجنتين حتى حسبته قمراً كحلت عيناه في ليلة التمام

ووقفت يفصل بيني وبينها بعد خطوتين ، وفي عينيها نظرة عتاب كأنها طعنة خنجر ، ووقفتُ أنا وفي عينيّ نظرة اعتذار كأنها دمعة قلب ... والتقت النظرة بالنظرة فإذا هما في الهواء قطعة من (المغنيزيوم) تشتعل ، وإذا هما في كبدي شعلة من الوجد تضطرم

ثم تقدمت الحسناء وقالت : أهلاً بذا كرنا أهلاً بناسينا

فقلت : وكيف أنساكِ وأنا ناس بك كل ما عداك ؟ . .

قالت : ما رأيتُ من تذكرك إلا ما قرأتُ من رسائلك ؛ فهل كل ما عندك أن ترسل الرسائل ؟ ! كأني بك لا تحب إلا أن تتخيل لتعيش في خيالك

قلت : وكثيراً ما أهرب من لقاء الحقيقة لأظل مفتوناً بالخيال ناعماً بمتعته ؛ ولولا أنك فوق تصوره لما بحثت عنك إلا في خيالي بين أحلامي وأوهامي

قالت : أنت إنسان عجيب . . .

وبدا محياها كأنه مبلول بالخمر ، وعربد قلبي كأنه سكير ، وصمتْنا ؛ ثم تنفستُ وقلت : ويحي ... ويحي ... إنك حقاً فوق تصوري وبعد خيالي ، فإني لأحس الآن أن كل قطرة من دمي تناجيك وتسبّح لك ، وأحسب أن الله تعالى قد خلقك خلقة ممتازة

فضحكتْ ضروباً ، وانعطفتْ في ناحية الكبرياء من جمالها وقالت : هكذا أنتم أيها الشعراء كثيراً ما تكفرون ...

قلت : آه لو كنتِ رجلاً مثلي وعشقت فتاة مثلك ! ! إذن لصدّقتِ أنك من خلقة ممتازة

قالت : أما يزال شيطانك يكفر ؟ . . إنكم أيها الشعراء لقادرون ؛ . إنكم تستطيعون أن تصنعوا من القبح جمالاً ، ومن الجمال فنّ جمال ، ومن فن الجمال عالماً من الفنون . فكم تصوّرون من مشاهد الكون وتبالغون في التصوير فيظن الناس أن الطبيعة هي التي أبدعتْ ما صنعتْ فنقلتم عنها حقائق

ثم سكتت ثم قالت : ها أنت تقول عني ما ليس فيّ فأكاد أصدق أن فيّ ما تقول ...

فقلت : مه مه ... يا فاتنة ... إنك تتكبرين في تواضع ، وتتواضعين في تكبر ؛ والله ما رأيت مثلك غادة جميلة تنكر أنها جميلة ... ألا إن هذا وحده يقوم دليلاً على أنك مطمئنة إلى نبوغ جمالك وعبقريته

فرمقتني بنظرة تائهة في فرح عينيها وقالت : إنك تغزوني ...

قلت : أرأيت القاتل يقتل ويتهم المقتول ؟ ... هـذه أنت تتهمينني بأنني أغزوك وأنت فاتحة قلبي

قالت : لسانك وقلمك قد تآمرا عليّ ...

وحزن جمالها فصوّر في حزنه أجمل معاني الحزن ، وترقرقت عيناي إلا أنني أمسكتُ العبرة بين أجفاني فتغشّى بها بصري لحظة ... ولمـا نظرت بعد ذلك رأيتها مطرقة تشد منديلها بين يديها وكأنها تغالب في باطنها قوة تمردت عليها ... وكأن وجهها يفكر ، وكأن لحظها يحلم ...

قلت : إنك تخبأين شيئاً وتريد الشيء أن يظهر

فرنتْ إليّ بطرفها مبلّلاً بالحنين ، فانطبقتْ أجفاني

وحى المعـــرفة

للأستاذ اسماعيل مظهر

لا أقصد به الوحى الذى ينزله الله سبحانه وتعالى على المختارين من عباده ، أو المصطفين من خلائقه ، فان ذلك الوحى بعيد عن أن تدرك العقول من ماهيته شيئاً ، بل اعتقد أن جل ما تدرك منه إنما يتعلق بأعراضه وظواهره دون حقيقته وجوهره

ولا أقصد به الوحى الذى يقول به الروحانيون ، أولئك الذين يحاولون إثبات العلاقة بين الجواهر اللطيفة الروحانيـة ، وبين المواد الغليظة الجسمانية ، حتى بعد أن تفارق الأرواح الأبدان ، وتنفصم تلك العروة التى تربط بين المبـدأ العلوى الحال فى الأجسام السفلية

ولا أقصـد به ذلك الوحى الذى حاول أوائلنا من السلف الصالح عليهم رحمة الله أن يثبتوا أن له بالأحلام وأضغاث الأحلام صلة ورابطة ؛ ولا الوحى الذى يقول به بعض المحدثين من أنصار العلامة فرويد ، أولئك الذين قلبوا آية الأحلام فجعلوا عالم الشهادة سبباً فى الرؤى ، بعد أن كانت الرؤى عند الأقدمين نذيراً بما سوف يقع فى عالم الشهادة

لا أقصد شيئاً من هذا ولا من غيره من الأشياء التى تجعل بين ما بعد الطبيعة والطبيعة رابطة ، قد يدركها التصور ، وقد ينفيها الادراك الحسى ، وإنما أقصد الوحى المادى ، وحى المعرفة تلك التى تشـعر ونعتقد أن لها بكياننا المـادى علاقة السبب والمسبب ، ورابطة العلة والمعلول . ذلك بأنى أعتقـد أن بعض العقول الممتازة ، ولا أعلم كيف هى ممتازة ، قد خصت بكفايات الوحى ، مستمداً من المعرفة التى تستوعبها . وكذلك أعتقد أن لبعض العقول ميولاً أشبه بميولنا النفسية ، وأن لبعضها دون بعض رباطاً بناحية معينة من نواحى المعرفة . فلبعضها رابطة بالعلم ، ولبعضها رابطة بالأدب والفلسفة ، ولبعضها رابطة بالفن ، ولبعضها رابطة بالدين . تلك صـدور من المعرفة ، أو بالأحرى أشكال من المعرفة ، لكل منها حدودها التى يعينها العقل تعييناً قد يبلغ بعض الأحيان مبلغ اليقين ، وقد ينزل بعض الأحيان منزلة الشك ؛ ولكنها على قدر ما نعلم من اختصاص العقول بالتبرز فى ناحيـة من نواحيها لها حدودها المتفق عليها عند من يعنون بوضع الحدود والفروق بين كفايات العقل الانسانى

أما وقد نعـلم من طريق اختصاص العقول بالتبرز فى نواح معينة من المعرفة أن لصور المعرفة من علم وأدب وفلسفة وفن ودين حدوداً معينة وتخوماً مقررة فى شريعة العقل ، فما نشك بجانب هذا فى أن لكل عقل من العقول اختصاصاً فى ناحية من نواحى المعرفة . نضيف إلى ذلك ظاهرة أخرى ؛ هى أن لبعض العقول فوق اختصاصها فى التبرز فى ناحيـة معينة من نواحى المعرفة ، قد خلقت وفيها موهبة خاصة تجعلها أكثر من غيرها استعداداً لتلقى نوع من أنواع الوحى ، تظهر آثاره باستيعاب قدر خاص من المعلومات قلّ أم كثر ، وهـذه الآثار التى تتجلى فى إدراك بعض العقول لحقائق أو نظريات ، قد تظهر عند درسها أنها قد لا تكون نتاجاً لدرس عميق ، ولا لأكباب على التفكير ، ولا تعمل أو تمحل فى إدراك حقائق الأشياء ؛ بل غالباً ما تكون أشبه بالومضة السارية فى الظلام أو الشعاع المنير يفلق بنوره غياهب الشك ويقضى على الجهالات

أى سر هذا ؟ عقول تدرك بالومض كأنها اللوح الحسّاس وعقول تعجز عن إدراك ما تدرك تلك ! عقول تنفذ إلى صميم الأشياء بلمحة سانحة ، فتستخلص الحقائق الأوليـة وتنتزعها من تلك الأضغاث التى تراكمت حولها من فتنة الفكر وتحف الخيال ، وأخرى تستوعب ما تستوعب من مبادىء العلم وصور

تتنهد ، ودارت بى الأرض دورة ... ثم فتحتُ عينىّ فرأيت منديلها يسقط من يدها ...

الله أكبر ! ! ما هـذا السحر الذى كان يشع من فتنتها وهى تنهزم ؟ ... كانت ساكنة سكون ثورة ، وكان قلبها ينبض فلا يحتمل بدنها الرقيق نبضه فيتموّج ؛ وانعكس قلبى على وجنتيها فرأيتهما تلتهبان بالحب ، وكانت عيناها تتألم ، وكانت نظراتها تئن ! !

وزفر قلبها زفرة ، وزفرت عيناها زفرة أخرى ، ثم قالت وهى تجاهد نظرها إلى : أتحبنى ؟

***

ثم ماذا ... ثم ماذا أيها المشاق ؟

(طنطا) السيد محمد زيادة

الأدب ونظريات الفلسفة وتاريخ الفن وشرائع الدين ، وتظل في جمودها تنظر الى تلك الومضات التي تفيض بها الأولى مأخوذة بأن ما أدركت الأولى قريب مما استوعبت ، ولكنه بعيد عن أحلامها قصى عن إدراكها !

* * *

يصعب على العلم أن يعلل هذا تعليلاً يصل به الى حقيقة الأمر منه . بل ولا شك في أن الخيال والتصور يقفان أمام هذه الظاهرة وقفة العلم من حيث العجز عن إدراك السر فيه . وليس لنا أن نستوحي العلم أو نذهب مع الخيال نعالج حقيقة هذه الظاهرة . وإنما نريد أن نحصر بحثنا في بعض الظواهر التي ترجع الى ما ندعوه وحي المعرفة

إذا مثلت لتاريخ الفكر البشري بشريط طويل من اللون الأسود ، وأردت أن تضع على مسافات معينة من هذا الشريط دوائر بيضاء ، تمثل بها تلك الومضات الوحيية التي جادت بها عقول ممتازة ، وكان لها الأثر الدافع الى غايات طلبها الانسان وضرب في سبيل الوصول اليها ، لرأيت أن الفراغات السود بين الدوائر البيض قد تطول حدودها حتى يخيل اليك أن الانسانية منذ أبعد عصورها لم تستهد بغير عدد قليل من العقول التي وهبتها الطبيعة تلك الهبة السامية ، هبة الوحي تستنزله المعرفة . ولا شك في أنك تقف عند فكرة التوحيد في عقل اخناتون ، وفكرة الانسان الكامل في عقل سقراط ، وفكرة المنطق عند أرسطوطاليس ، وفكرة دوران الأرض والسببية الطبيعية في عقل غليليو ، وفكرة الأسلوب والشك في عقل ديكارت ، وفكرة المثاليات في عقل اسبينوزا و (كانت) ، وفكرة التطور في عقل دروين

قد نجعل لمثل هذه العقول منزلة وحدها ونرفعها الى مكانة من الفضل مفردة . فاذا نزلنا عن هذه درجة أمكننا أن نسرد من العقول الممتازة عدداً إن خص بهذه الموهبة فان اختصاصها بالفن يرفعها إلى درجة الأولى ، بل تلوح لنا كأنها التابع حيال المتبوع ، أو الصورة الواضحة في المرآة الصافية . ثم تنزل من هذه درجة ثم الى أخرى ، حتى نبلغ حداً لا نميز فيه بين العقول ، وحيث نأنس أن العلم بالأشياء وحفظ المتون ظهر الغيب ليس له من أثر في الابتكار ، كأنما تلك العقول ليست أكثر من نسخة مكررة في كتاب واحد

أكثر أولئك الذين نسميهم علماء أو ننعتهم بأنهم أدباء أو مفكرون ، هم من طبقة الذين نطلق عليهم طبقة « النسخة المكررة من الكتاب الواحد » . يعيشون في حدود ما قرأوا ؛ وقد يجيدون حفظ الكتاب إجادة تبلغ درجة الكمال ، ويفكرون على الأسلوب الذي رسمه الكتاب ، بل قلما يجيدون التفكير على ذلك الأسلوب فيفسدون ما قرأوا في الكتاب وينزلون به درجة بعد درجة حتى تمسخ عقولهم ما قرأوا وما حفظوا ، فيصبحون بذلك نسخة مبدلة من كتاب قرأوه ، أو فرض عليهم أن يقرأوه ليؤدوا بقراءته غرضاً لا يعترف به العلم ، ولا هو من شريعة الفهم في شيء

قد يكون السبب في ذلك راجعاً الى أن عقول هؤلاء قد صرفت مقسورة عن تنمية الموهبة التي أعدتها الطبيعة فيها ؛ وقد يكون للنشأة في ذلك أثرها وللبيئة طابعها الثابت ؛ وقد يكون لنظرة ما ينظر من ناحيتها في الحياة أثر في العقل ينتج ذلك الجمود العلمي والتحجر العقلي ؛ وقد يكون للخلق وللشهوات عوامل خفية تؤثر في اتجاه العقول

قد يكون ذلك وقد يكون أكثر منه . والحق أن من يفكر في مثل هذا الأمر يشعر بالعجز عن بلوغ الغاية في تعليله تعليلا علمياً يقبله العقل ، ولكن لنا أن نقول إن للوراثات المختلفة وحالات الحياة الأثر الأول في حدوث هذه الظواهر العجيبة

على أننا إلى جانب هذا لا نستطيع أن ننكر أن هذه الملكة ، ملكة الوصول إلى غايات من العلم والأدب والفن تكاد تظهر كأنها الوحي ، هي من الملكات التي يمكن أن تنميها التربية ، وتصححها النشأة ، وتقويها طرق التعليم . ذلك بأن العقل الانساني في ذاته يكاد يكون في أشياء الطبيعة بمثابة الوحي في جمود الحيوانية وموت الجمادات . قسه مثلاً على غرائز الحيوان أو تفاعل الجمادات الكيميائي ، وأنت واجد أنه في ظواهر الطبيعة نسيج وحده وطابع لا يتكرر . وهذا العقل بكفاياته وملكاته ، تصبه البيئة والتعاليم والنشأة في قوالب تظهر بها مرونته وقدرته على التشكل في أشكال كثيرة ، واستعداده إلى قبول حالات جديدة ليست له من قبل . وما تلك الأشكال وهذه الحالات إلا آثار مختلفة يخلقها ما يحيط بالعقل من عوامل التدرج نحو بلوغ الغايات العليا من المعرفة ؛ تلك الغايات التي تنتهي إلى تلك الومضات

(البقية في أسفل الصفحة التالية)

الوحيية التي جادت بها على البشرية عقول نبغتها بأنها فذة وأنها بلغت الغاية من سمو الادراك

لما كان للتربية والبيئة خاصة التأثير في تكوين العقول ، ولما كان لهما ذلك الأثر البالغ ، كان علينا ألا ننكر أن همّ المصلحين يجب أن يتجه أولاً إلى وضع التربية والتنشئة الأولى في موضع من الاعتبار يجعل لها القيمة العليا في أشياء الجمعيات الانسانية كما يجب عليهم أن ينظروا في تأثير البيئات التي تكتنف النشء ، وأن يسيطروا عليها إلى الحد الذي يباح فيه للحكومات أن تحدّ في بعض النظم والمعاهد اتقاء لما تنشئ من بيئات مصطنعة بعيدة عما تتطلبه التربية السامية وقواعدها المقررة وأصولها المعروفة

ففي البيت وفي المدرسة وفي الحياة العامة ، ينبغي أن تقوم تلك البيئات التي تساعد على تنشئة العقل وتدريبه على النظر في الأشياء نظرات تنفذ إلى صميمها ، وأول خطوة في هذه السبيل يجب أن تقوم على هدم الأوهام ومحو الأضاليل ، وما محو الأوهام وهدم الأضاليل ، إلا نتيجة أولية لتحرير العقول

اسماعيل مظهر

قصة المكروب

كيف كشفه رجاله

ترجمة الدكتور أحمد زكي

مدير مصلحة الكيمياء

وسطاء شر أبرياء

وصل الفائت : بدأ إسميث يبحث علة الحمى التكساسية التي تنتقل من أبقار الولايات الجنوبية في الولايات المتحدة إلى أبقار الولايات الشمالية فيها . فجهز حقلين : ووضع في الحقل الأول بقرات شمالية مع بقرات جنوبية ولم ينتزع من هذه الأخيرة القراد الذي عليها ، ووضع في الحقل الثاني مثل ذلك بعد أن نظف البقرات الجنوبية من قرادها ، وتركها جميعاً ، فأصابت الحمى البقرات الشمالية في الحقل الأول ، ولم تصبها في الحقل الثاني

وزادت الحمى في الحقل الأول اتقاداً ، ثم أخذت بقراته تموت واحدة بعد أخرى . وشُقّت بطون الجثث للفحص فجرى دمها أحمر صبيباً . واختلفوا بين حقول الريف ومكرسكوبات المعمل بالمدينة في امتحان الدماء . وانتقلت عدوى العمل إلى اسكندر الكسول لما أحس بأن في الجو أمراً جللا ، فنفض غبار كسله المأثور وأخذ نصيبه من الحركة . ونظر اسميث إلى دم البقر الخفيف وأخذ يتأمله ، ثم قال : « إن المكروب الخفيّ لهذه الحمى التكساسية إنما يهجم على كريات الدم الحمراء فيفقؤها . ففي بطون هذه الكريات يجب أن أبحث عن المكروب »

كان لا يثق بالتقارير التي يكتبها المكرسكوبيّون المختصون ، أو الذين يُدعَون بالمختصين ، ومع ذلك فقد كان له بالمكرسكوب خبرة لا تبارى . وحرّر أقوى مكرسكوب لديه على دم البقرة التي ماتت أولاً ، فأخذ الحظُّ بيمينه ، فارتأى لأول وهلة في الكُرَيّة الدموية الحمراء ، وهي في المعروف متصلة الجوف صماء ، رأى فراغات صغيرة تمنقدت معاً فاتخذ مجموعها شكل الكمثرى ؛ وتراءت له في أول الأمر كأنها ثقوب في قرص الكرة الدموية ليس إلا ، ولكنه أخذ يُبعد عدسة المجهر ويقرّبها فأحكم بؤرتها ، وأخذ يُكثّر عدد العينات التي يمتحنها ، فأخذت هذه الفراغات والثقوب تنبض في بصره بالحياة فتتمثل له على حقيقتها أحياءً لها شكل الكمثرى . ورآها في دم كل بقرة ماتت بالحمى التكساسية ، ورآها دائماً في جوف كرات الدم الحمراء تفسد فيه وتُخرّبه فيصبح مُرهفاً كالماء . ولم يرها قط في دم بقرة شمالية صحيحة ، فأسرّ لنفسه : « لعل هذا مكروب الحمى » . وكان له اتئاد الفلاح فلم يتعجل في الحكم ، واعتزم قبل أن يقضي على أن يفحص دماً من مائة بقرة مريضة وسليمة ، وأن يمتحن الملايين من الكرات الحمراء

وكان الحرّ قد مضى وحلّ شهر سبتمبر ، وكان في الحقل الثاني أربع بقرات من البقر الشماليّ كلها سليمة ترعى الحشيش وتزداد سمنا — ولم يكن عليها قراد أصلاً . فقال إسميث وهو ينظر اليها : « إن من الميسور هنا أن نحقق التهمة المعزوّة الى القراد من تسبيب الحمى » . وقام فساق اثنتين من هذه البقرات السليمة الأربع الى الحقل الأول الذي مات به البقر المريض ، فني أسبوع رأى قراداً أحمر أغبر صغيراً يزحف على فخذ البقرتين . ومضى أسبوعان أو يزيدان قليلاً فماتت إحداهما ، أما الأخرى فغادرها تعاني من الحمى ما تعاني

ولم يقتنع إسميث بكل هذا فطلب المزيد — المزيدَ الذي لا يطلب مثله في العلماء سواه . وكانت لا تزال هناك حيلة لابد

من احتيالها ، أو إن شئت فقل تجربة لا بد من إجرائها . فقد كان جاء من كرُلينة الشمالية صفائح ملأى بالحشيش تجرى عليه جماعات القراد تسعى عطشى الى دم تستقيه . فأخذ إسميث هذه الصفائح الى حقل ثالث لم تطأ أرضه بقرة واحدة من بقر الجنوب أو قرادة قط من قراداته . وأخذ يذهب فيه ويجيء ، يُفرغ حشيش الصفيحات وينثره بقراده على أرضه فلعل فيه الموت ، ثم اقتاد أربع بقرات سليمة الى هذا الحقل ، فمضت بضعة أسابيع انحل فيها دم البقر كله . وماتت منه بقرة ، أما الثلاث الأخريات فنالتها نوبات شديدة من الحمى ولكنها اشتفت أخيراً

— ٦ —

وعلى هذا فقد نجح إسميث أول ناجح فى تتبع أثر مكروب قاتل ، والكشف عن السبيل الذى يسلكه الى حيوان بركوبه على ظهر آخر . ففى الحقل حيث كان بقرٌ جنوبىٌّ ، وكان قرادٌ مات البقر الشمالىّ . وفى الحقل حيث كان بقرٌ جنوبى ، ولكن لم يكن قراد ، زاد البقر الشمالى سِمَنا وهنىء عيشا . وفى الحقل الذى لم يكن به بقرٌ جنوبىٌ ولكن كان قرادٌ ، أصيبت البقرات الشمالية بالحمى التكساسية

إذن فالقراد أصل البلاء

وإذن فقد أثبت إسميث بذلك المنطق البسيط ، وبهذا العدد العديد من التجارب أن البقّارين فى غرب أمريكا إنما قالوا حقاً ورأوا صدقاً ، واستبانوا حقيقة جديدة من أكبر حقائق الطبيعة عند ما اتهموا القراد . واستخلص إسميث هذه الحقيقة الكونية الكبرى من ذكاء الشعب ومما جرت به ألسنة الخلق فكان مَثَل هذا الكشف الخطير مَثَلُ العَجَلة يُرَدّ اختراعها الى الناس ، الى قوة ابتكار الدهماء حتى تبوأت مكانها من المحركات الكهربائية العظيمة الدوّارة الطنّانة

ولعلك حاسب بعد ذلك من وضوح تجاربه وثبوت نتائجها ثبوتاً قاطعاً أنه اكتفى بها ، ولعلك حاسبٌ أنه نصح حكومته بعد ذلك باشهار حرب طاحنة على القراد . ما كان هذا طبع إسميث ، ولم تكن تلك سبيله ، فبدل ذلك اصطبر الى صيف العام المقبل عام ١٨٩٠ ، فلما جاء حرّه أجرى تلك التجارب مرة أخرى وزاد عليها ، وكلها تجارب بسيطة ولكنه إذ اتهم لم يُرد أن يكون اتهامه إلا عن يقين . فتساءل : « كيف ينقل القراد الداء من بقرة جنوبية الى بقرة شمالية ، ونحن نعلم أن القرادة تقضى حياتها كلها على ظهر بقرة واحدة ، وهى لا تطير كالذباب من بقرة الى أخرى ؟ . . »
وهذا سؤال لا شك عويص ، أعوص من أن يحله البقارون بمعارفهم الساذجة . فنصب إسميث نفسه ليردّ عليه

فتفكر ثم قال : « لا بد أن القراد يمتص من الدم ثم يمتص حتى إذا امتلأ وبلغ واستوى ، سقط فانهرس على الأرض ، نخلّف على الحشيش المكروب الكمّثرىّ الشكل الذى كان بالدم الذى استقاه ، فجاء البقر الشمالى فأكل الحشيش ومكروبه»

وعلى ذلك أخذ آلافاً من القراد الذى جاء فى الصفائح من الجنوب ، وخلطها بحشيش جاف ، وأطعمها بقرة شمالية لا تقوى على دفع الحمى ، كان أسكنها حظيرة وحدها ، واعتنى عناية مختارة بها ؛ وانتظر أن يأتيها الداء فلم يأت . وأخذت البقرة تجتر طعامها الجديد هانئة مستمتعة ، وازدادت عليه شحما . وأشرب بقرةً أخرى حساء صنعه من قراد مدهوك ، ثم عاد فأشربها ثم أشربها فكأنما أراد أن يغرقها فى الحساء إغراقاً . ولكن هذه البقرة أيضاً خُيِّل أنها تستمرئ شرابها الغريب وحسُنت عليه حالها

فسدت التجربة فأُرْتِجَ عليه ، إذن فالبقر على ما يظهر لا يأتيه المكروب من أكل القراد . وفى الليل توالت عليه الأسئلة يلقيها على نفسه تباعاً فى سلسلة لا تنتهى . وتساءل فيما تساءل : « إن البقر الجنوبى ذا القراد ينزل فى الحقل فلا يكون هذا الحقل وبيئاً إلا بعد ثلاثين يوماً من نزول البقر فيه . فلم هذا ؟ » وعرف البقّارون هذه الحقيقة أيضاً ، وعرفوا أنهم يستطيعون خلط بقر شمالى بجنوبى عشرين يوماً أو نحوها ، ثم يفصلون بينها فلا ينال المرض البقرَ الشمالى أبداً . أما إذا هم تركوها على اختلاط فوق هذا القدر من الأيام ، أو حتى إذا هم أبقوا البقر الشمالى وحده حيث هو من الحقل فوق العشرين يوماً بأيام قليلة ، فلا يلبث أن يَفْجأه الداء فكأنما انقض عليه من السماء . فتلك أُحْجِيةٌ أى أحجية !

وذات يوم من هذا الصيف صيف عام ١٨٩٠ تفسرت الأحجية بغتة واتصلت قطع الصورة المتكسرة المتفرقة فُجاءةً فاتضحت فى عينه على حين غِرّة فشدَهته ، فوقف أمامها ذاهلاً مبهوتاً . وكان إذ ذاك فى شُغل من أمور عديدة أخرى وإجراء تجارب من ألوان شتى : كان يفصد البقر الشمالى ويسكب من دمه جالونات ليفقر دمه ، فقد كان خال أن المكروب

الكُمَّثْرَىّ الذى رآه فى كرات الدم ربما كان فقراً فى الدم لا مكروباً . وكان يتعلم كيف يُفَقّس قراداً صغيراً نظيفاً فى معمله . وكان لا يزال يلقط القراد من على ظهر أبقار جنوبية ليثبت أنها من غير قراد لا تضر الأبقار الشمالية ، وقد يفوته أن يلتقطه كله فتأتى نتيجة التجربة بغير الذى أراد . وكان قائماً فى سبيل استكشاف حقيقة باهرة ؛ أن العجول الشمالية لا تصيبها إلا حمى هينة لا تُميت فى الحقول التى تقيض على أمهاتها . كان همه أن يجد كل أثر أياً كان نوعه للقراد فى البقر الشمالى — فلعلها تسبب لها أسواء أخرى غير الحمى التكساسية

فى أثناء كل هذا تفسرت الأحجية . ذلك أنه سأل نفسه أَتُرَى أنى بدأت بيويضات القراد فى صحن من الزجاج فأخرجت منها فى حجرتى قرادات نظيفة لم تر حقلاً أو بقرة وبيئة ، ثم لو أنى وضعتها بعد ذلك على بقرة شمالية وتركتها تمتص من دمها مِلئها ، أفتستطيع أن تمتص ما يكفى لافقار دم بقرة ؟ سؤال غريب يتراءى لى أنه كان لغير غاية ؛ ولكنه يدل على أن فكرته كانت أبعد ما تكون من الحمى التكساسية

ومع هذا حاول أن يحصل على جواب سؤاله ، فأتى بعجلة سمينة بنت عام ووضعها فى زريبة مقفلة ، وأخذ يُهيل عليها يوماً فيوماً مئات من قرادات صغيرات من تفقيسه ، وعسك بها حتى يغوص القراد بعيداً تحت شعرها ويتمسك بجلدها . وأخذ يوما فيوما يشق جلدها ليأخذ قطرات من دمها ليستوثق من فقره . وذات يوم جاء إلى الزريبة ليجرى عليها ما اعتاده ، فلما وضع يده عليها أخذته الدهشة مما أحسَّ . فقد أحسها حارّة ، شديدة الحرارة شدّة جعلته يتهم حالها . ونظر اليها فوجد رقبتها تميل . وامتنعت عن الطعام ، ودمها الذى كان يخرج من شقوق جلدها أحمر ثخيناً أصبح يجرى رهيفاً داكناً . فجرى إلى حجرته بقطرات من هذا الدم على قطع من الزجاج ، ووضعها تحت المجهر ورأى ، ويا صدق ما خال . ورأى كرات الدم الحمراء قد التوتْ وتثلمتْ وتحطّمت وقد كان عهده بها قوراء ناعمة كالدرهم المسيح . وفى هذه الكرات الحطيمة وجد المكروب ... فهاكَ غريبةً من الغرائب التى قد لا تجود بها الأحلام : فهذه المكروبات لا بد أنها جاءت من جنوب أمريكا فى القراد البالغ ، فلما باض

وجد المكروب سبيله إلى البيض فاستكنّ فيه ، فلما انفقس البيضُ فى صحون الزجاج عن قرادات صغيرة حملت هذه المكروبَ معها ، فلما وقعت على ظهر العجلة مصت دمها فانساب المكروب أ كثر ما يكون تهيؤا للفتك بالعجلة المسكينة التى وقعت فريسة القَدَر على غير قصد وبغير ذنب

فى سرعة البرق انضح كل هذا لعين إسميث

ليست القرادات العجائز التى امتلأت بالدم وارتوت هى التى تهيىء سبيل المكروب إلى البقر الشمالى ، بل صغارها من ذات خمسة الأيام إلى العشرة هى التى حملت القتلة الأشرار إلى ضحاياها

وعندئذ فَقِهَ السبب الذى من أجله تأخر الحقل أن يكون خطيراً ، فان الأمهات من القراد كان لا بد لها من السقوط عن ظهر البقر الجنوبى الحصين أولاً ، ثم لابد لها على الأرض من أيام تبيض فيها ، ثم لا بد للبيض من عشرين يوماً أو تزيد لانفقاسه ، ثم لابد للصغار الخارجة من البيض من زمن تزحف فيه إلى أرجل البقر الشمالى فألى أفخاذه — وهذه الأحداث تستغرق أياماً كثيرة ، تستغرق الأسابيع . فهل وجدتَ جوابا أيسر من هذا لسؤال أعسر من هذا ، لولا المصادفة البحتة ما تيسر أبداً ؟

وما لبث أن استخرج بالتفقيس فى صحون دافئة من الزجاج آلافاً من القراد ، وأخذ فى زيادة إثبات اكتشافه الكبير حتى ثبت ثبوتاً قاطعاً . فكان كلما ركّم قرادة على ظهر بقرة شمالية أصابتها الحمى ؛ ولم تكن تكفيه الكفاية من البراهين . وأخذ صيف عام ١٨٩٠ فى الادبار وأخذ البرد فى الاقبال ، فاذا به يسخّن الحظائر بمواقد الفحم ، ويفقّس القراد فى مكان دافئ ، ثم يضعه على جلد البقرة فيقوم نار الحظيرة مقام الشمس فى إكمال نموّه ، فاذا به يصنع على ظهر البقرة صنيعه المعهود ، وإذا بها تجيئها الحمى فى الشتاء وهى لم تكن جاءت شتاءً فى الطبيعة أبدا

وقضى إسميث وكلبورن صيفين آخرين يضربان فى الحقول يستكملان بحثهما ، ويسدّان خروق السفينة بالقار والكتان ، ويتساءلان كل سؤال يخطر بالبال ، ويجيبان بتجارب غايةٍ فى البساطة غايةٍ فى الافحام على كل اعتراض يحتمل أن يثيره العلماء البيطريون ، وذلك قبل أن تعطى الفرصة لهم ليعترضوا . وا كتشفا

أثناء ذلك حقائق غريبة فى الحصانة ، إذ وجدوا أن العجول الشمالية تصيبها الحمى التكساسية إصابتين خفيفتين أو ثلاثاً فى الصيف ، فاذا دار العام وكبرت أخذت ترعى فى الحقول الوبيئة القاضية على كل بقرة شمالية فلاتحس وباءها أصلاً ... لا يفسر ان حصانة البقر الجنوبى : إن هذه الحمى الخبيثة توجد فى الجنوب حيثما وجد القراد . والجنوب كله قراد . فهذا القراد لا يفتأ يصب مكروبه فى دماء الأبقار الجنوبية فى كل آن ومكان ، وهذه الأبقار الجنوبية تحمل المكروب فى دمها ليل نهار ، ولكنها لا تحفل به ، لأنها أصيبت به وهى عجول فاحتملته فتحصنت منه من بعد ذلك

وأخيراً ، وبعد أربعة أصياف شديدة الحرّ كثيرة الانتاج مجيدة ، جلس إسميث جلسة طويلة يصف الحمى التكساسية فلا يدع فيها سؤالاً لسائل ، ويصف كذلك كيف يُمحَى الداء محوا . وكان ذلك فى عام ١٨٩٣ ، وكان بستور الذى تنبأ بامحاء الأدواء جميعاً على نحو هذا المثال يتهيأ عندئذ للكفن والقبر .

كتب إسميث ما كتب عن هذه الحمى فأتى على قطعة رائعة من قطع الفن لم أجد أبسط منها ولا أوضح فى حل لُغْز من ألغاز الطبيعة ، أقول هذا وأنا لست بناس روائع لوفنهوك ولا بدائع كوخ أو أى رجل من رجال المكروب ؛ قطعة رائعة يفهمها الصبىّ الذكىّ لبساطتها ، ويرفع لها نيوتن العظيم قبعته احتراماً لعظمتها . كان إسميث وهو صغير يحب بيتهوفن وموسيقاه ، وإنى لأجد فى قطعة إسميث هذه التى أسماها « بحثاً فى طبيعة الحمى التكساسية أو حمى الأبقار الجنوبية ، وفى أسبابها ، وفى منعها » إنى لأجد فيها من الروعة ما فى السمفونة الثامنة لبتهوفن ، تلك التى أنشأها فى أواخر أيامه المريرة . كلتا القطعتين بسيط موضوعهما بساطة بلغت حد السخف ، ولكن موضوعهما هذا البسيط نُوّع وركّب تنويعاً لا يستطيعه إنسى ، فكانتا على مثال الطبيعة ذاتها ، غاية فى البساطة غاية فى التركب والتعقد

فبهذا التقرير فتح اسميث للانسانية فتحاً جديداً ، فأرى الناس سبيلاً جديدة يسلكها المكروب بالداء إلى ضحيته : محمولاً على حشرة . وبدون هذه الحشرة لا يستطيع الوصول . أعدموا هذه الحشرة ، غطّسوا كل مواشيكم فى سائل ليقتل قُرادها ، أعيشوا البقر الشمالى فى أرض لا قراد فيها . افعلوا كل هذا تَختفِ الحمى التكساسية من على ظهر البسيطة . واليوم تقوم عدة ولايات كاملة بتطهير مواشيها بالتغطيس فى المطهِّرات ، واليوم لا تجد أحداً يرتاع أقل ارتياع لهذه الحمّى التى أنذرت بالفناء الألوف المؤلفة من قُطعان أمريكا

وليس هذا كلّ الخير الذى جاء من هذا التقرير البسيط الذى لا زركشة فيه ولا تزويق ، هذا التقرير الخالد الذى لم ينل ما يستحق من التقدير حتى لا تجد منه فى السوق نسخة واحدة ؛ فأنه لم يلبث أن شاع حتى حدثت من جرائه أحداث عظيمة فى جنوب أفريقيا وفى الهند وإيطاليا . ففى أفريقيا الجنوبية فى أدغالها الخطيرة عضت ذبابة (١) رئيس الأطباء فى كتيبة من كتائب الجيش ، وكان اسكتلنديا جسيما ، فسب من عضتها ولعن ، ثم خطر له الخاطر فأخذ يفكّر فيما عسى أن تصنع هذه الذبابة من الضر بالانسان غير عضتها المقلقة . وبعد هذا بقليل حدث أن رجلاً انجليزياً فى الهند ، وآخر إيطالياً فى إيطاليا ، فتح كلاهما آذانهما وسمعهما يُنصتان لجماعات البعوض ترسل بطنينها المديد الشاكى ، ثم فتحا أذهانهما وأعملا خيالهما وأطلقا الأعنة للأحلام فاختطا خططا عجيبة لتجارب غريبة ...

على أن هذه قصص ستقرؤها الفصول القادمة ، قصص تحكى لنا عن أوبئة قديمة ممجزة جامحة أعجزها الانسان وألجمها ، فأسلمت له القيادة ؛ قصص تحكى عن وباء أصفر فتاك ، امحى الآن من الوجود أو كاد ، قصص تحكى لنا عن رجال ذوى آمال صوّروا الحياة البشرية تزداد بتناقص الأدواء ، وتنشط وتمتد عبابها الزاخر حتى يغمر أدغالاً لا تسكنها الآن غير الزواحف والضوارى ، فتزدهر عن مدائن ذات أنوار وأبراج ؛ فهذه القصص كلها مهّد لها إسميث بما قام به فى صيادة المكروب من بحوث جديدة عفّى عليها الآن النسيان أو كاد ، بحوث هى الأولى التى سوغت لبنى الناس أن يحلموا الأحلام الجميلة عن دنيا لهم مقبلة جميلة تختلف اختلافا بيّنا عن دنيا هم الحاضرة

أحمد زكى

(١) هى ذبابة تستى tsetse تقتل عضتها المواشى والخيل والكلاب

الفتح الاسلامي (١)

للأستاذ علي الطنطاوي

« الفتح الاسلامي » أكبر لغز من ألغاز العبقرية ، وأروع أُحْجِيَّة من أحاجي النبوغ ، وأجل مظهر من مظاهر العظمة في تاريخ البشر . ولقد مرت عليه إلى اليوم قرون طويلة ، وأعصار مديدة ، ارتقى فيها فن الحرب ، وتقدم فيها البشر أشواطا في كل ميدان من ميادين الحضارة ، وغاص المؤرخون في أعماق الحوادث التاريخية ، فكشفوا أسرارها وعرفوا أسبابها ، فبدت لهم هينة ضئيلة ، بعد أن كانوا يرونها لغزاً لا يحل ، ولكنهم لم يستطيعوا أن يكشفوا سر الفتوحات الاسلامية — ولم يدركوا كُنْهَهَا . وستمر قرون أخرى وأعصار — قبل أن يكشف ذلك السر ، وقبل أن يرى تاريخ البشر حادثاً أعجب وأعظم من « الفتح الاسلامي »

إن الحوادث العظيمة في التاريخ على اختلاف مظاهرها وتنوع أشكالها ، لا تعدو أن تكون واحدة من ثلاث : إما أن تكون عظمتها فيما أورثت الانسانية من حضارة وعمران ، وما رفهت من عيش الناس ، وما أفادتهم من رغد ونعمة وترف ، وإما أن تكون هذه العظمة فيما خدمت به العقل البشري ، وأمدته بأسباب القوة والنضوج ، ورفعت من تفكير الناس ، وأدنتهم من المثل العليا التي يطمحون إليها ، بما فتحت عليهم من أبواب الثقافة وسُبل المعرفة ، وإما أن تكون عظمة الحادث التاريخي في ذاته ، وفيما ينطوي عليه من بطولة نادرة ، وقدرة عجيبة ، وجلال لا يعرفه التاريخ إلا قليلاً ؛ أي أن العظمة إما أن تكون عظمة حضارة وعمران ، أو علم وفكر ، أو بطولة وحرب .

« والفتح الاسلامي » أعظم الحوادث التاريخية كلها ، في أبواب العظمة كلها ، لا يدانيه في ذلك حادث في تاريخ الشرق والغرب ، القديم منه والحديث

(١) فصل من كتاب (عمر بن الخطاب) تأليف الشيخ علي الطنطاوي وأخيه ناجي الطنطاوي ، وقد صدر اليوم الجزء الأول منه في (٣٦٨) صفحة من القطع الكبير ، وهو يطلب من (المكتبة العربية بدمشق) وسيصدر الجزء الثاني قريباً . والكتاب على نمط كتاب (أبو بكر الصديق) وأسلوبه

أما في الحروب فان التاريخ يعرف كثيراً من الفاتحين ، منذ عهد الاسكندر ومن قبل الاسكندر ، إلى عهد نابليون ومن بعد نابليون ، ولكنه لم يعرف فتحاً أوسع ولا أسرع من « الفتح الاسلامي » الذي امتد في اثنى عشر عاماً فقط من طرابلس الغرب إلى آخر بلاد العجم ، وحاز مصر وسورية وفارس كلها . على أن ميزة الفتح الاسلامي ليست في السعة والسرعة وحدها ، ولكن ميزته الكبرى أنه فتح أبدي ، فلم يعرف عن المسلمين أنهم دخلوا بلاداً وخرجوا منها (١) ؛ ذلك أنهم لا يفتحون البلاد بسيوفهم شأن كل الفاتحين ، ولكنهم يفتحون القلوب والعقول ، بعدلهم وعلمهم ، فلا تلبث البلاد المفتوحة أن تندمج بالمسلمين ، وتصبح أغير على الاسلام من المسلمين الفاتحين ، بينما ترى البلاد التي فتحها غيرهم تبقى خاضعة لهم ما بقي السيف مصلتاً فوق رؤوس أهلها ، فاذا أحسوا من الفاتحين غِرَّة ، وآنسوا منهم ضعفاً وثبوا عليهم فطردوهم ، وعادوا إلى ما كانوا عليه ، حتى أن أمريكا على رغم أنها كانت خالية إلا من قبائل لا شأن لها ، وليس فيها دين يناوئ ديناً ، أو عادات تصادم عادات ، وعلى رغم أن أهلها الذين استعمروها إنكليز كالانجليز الحاكمين ، فانهم وثبوا عليهم وحاربوهم حتى نالوا استقلالهم ؛ ولا تجد اليوم أمريكياً واحداً يريد الانضمام إلى إنكلترا (الأم الكبرى) ، بينما تجد كل مسلم في الصين أو الهند أو جاوا أو القسطنطينية كل مسلم صحيح ، يتحسر على الوحدة الاسلامية — ويسعى إليها — ولا يقبل بها بديلا ، على رغم ما أحدثوا لهم من كذبة القوميات وبدعة الوطنيات ، وما أقاموا بين الاخوان من سدود ، وما فصلوا به بينهم من حدود ، وما مرّ على هذه التفرقة من سنين وأعوام . ذلك لأن « الفتح الاسلامي » فتح أبديّ ، مستقر في القلوب ، لا تقوى قوة بشرية على انتزاعه ، وهذه هي ميزته التي امتاز بها على كل فتح في التاريخ

أما في العلم والثقافة ؛ فقد كان « الفتح الاسلامي » أكبر حادث علمي ، لأنه حمل إلى البلاد التي فتحها علم السماء والأرض ،

(١) الا الأندلس وما يلحق بها ، وقد بقيت روح العرب المسلمين في الأندلس . برغم نصرانيتها وإسبانيتها ، وبرغم ما حاربوها به من وسائل وحشية همجية — حتى ظهرت أخيراً على ألسنة كبار شعرائها ، وأعاظم ساستها ، واقرأ نبأ ذلك في (حاضر العالم الاسلامي) الكتاب الذي ينبغي ألا تخلو منه مكتبة مسلم

فحرر عقولها بالتوحيد، وأعتقها من عبودية الأحجار والأشجار، والنيران والأخشاب، والقسس والأشراف. ثم وضع في أيديها القرآن الذي يأمر بالتفكر في خلق السموات والأرض، ويحفز إلى البحث والنظر والاستدلال، والسنة التي ترغب في العلم وتدعو إليه، وتجعل طلبه فريضة على كل مسلم؛ وكان الفاتحون أنفسهم علماء، فما هي إلا أن فرغوا من الحروب حتى وضعوا السيف وحملوا القلم، وألقوا الدروع وأخذوا الكتب، وجلسوا في المساجد (والمساجد برلمانات المسلمين وجامعاتهم العلمية) يدرسون ويُقرئون ويبحثون، فكان من تلاميذهم المفسرون والمحدّثون، والفقهاء والأصوليون، والأدباء والنحويون، والقصاص والمؤرخون، والفلاسفة والباحثون، والأطباء والفلكيون، أولئك الذين تصدّروا بعدُ للتدريس في جامعات الشرق، وجامعات الأندلس، فجلس بين أيديهم البابوات، والملوك ملوك أوربا، وكانوا أساتذة العالم الجديث

فكان من ثمرة الفتح أن هذه البلاد الأعجمية — التي كانت تئنّ في ظلام الجهل والظلم — لم تلبث أن ظهر منها علماء فحول، كان لهم الفضل على العقل البشري، ولا تزال أسماؤها خالدة، تضيء في جبين الدهر

ومن لعمري ينسى البخاريّ والطبريّ والأصبهاني والهمذانيّ والشيرازيّ والسَّرَخْسيّ والمرْوَزي والرازيّ والخُوارزمي والنَّيسابوريّ والقزوينيّ والدِّينَوَري والسِّيرافي والجُرجاني والنَّسائي وغيرَهم وغيرَهم ممن لا يحصيهم عدّ؟ ألا يشعر كل مسلم بأن هؤلاء وأمثالهم هم علماء الملّة وأعلامها؟ ألا يحلّ كتاب البخاري أسمى محل من نفوسنا، ونتخذه حجة بيننا وبين الله؟ ألا يؤلف هؤلاء العلماء صلة من أوثق الصلات بيننا وبين فارس لا يستطيع أن يفصم عراها مائة حكومة من مثل الحكومة الحاضرة، التي تستنّ في فارس سنّة (هذا الآخر ...) في تركيا

هذا هو فضل الفتح علينا وعلى الأجيال الآتية — أما فضله على العقل البشري — فحسبك أن تعلم أنه لولا الفتح الاسلامي، ولولا علماء المسلمين وفلاسفتهم لم يكن عقل القرن العشرين

أما في الحضارة والعمران؛ فللفتح الاسلامي أكبر الأثر في نشر الحضارة وتوطيد العمران، والعمران طبيعة في العربي المسلم، فلم يمض على فتح المسلمين بلاد العراق إلا سنوات حتى أسسوا مدنتين كبيرتين كان لهما الفضل والمنّة على الحركة العلمية والأدبية في العالم كله. فضلاً عن أنهما كانتا قاعدتين حربيتين من أكبر القواعد الحربية؛ وما استقرت أقدامهم في البلاد حتى شرعوا في بناء المدن الكبيرة، والقصور العظيمة، وإنشاء أروع آثار البناء، حتى كانت بغداد وسرّ من رأى، وكانت دمشق من قبل، والقاهرة ومدن الأندلس من بعد، أعجوبة في فنّ العمران، وها إن أثراً صغيراً من آثار العرب — ليس بأعظمها ولا أكبرها — لا يزال إلى اليوم محطّ ركاب الرحال من أهل العلم ورجال الأدب، ولا يزال مصدراً مالياً لحكومة من كبار حكومات أوربة تعيش إلى اليوم بفضل العرب، هي حكومة أسبانيا. ولقد حاول الانكليز على قوتهم وغناهم — في هذا العصر الذي تيسرت فيه أسباب كل شيء — أن ينشئوا مثل «الحمراء» فأنشأوا قصراً في سيدنهام يعدّ من أعظم المباني المصرية وأجملها، ولا يزال دون الأصل بمراحل [1] فكيف بمن بنى الأصل في ذلك العصر الغابر؟

وكيف لو بقيت «الزهراء» التي حيّرت رُسُل الافرنج، أو بقي «التاج» في بغداد، أو «دار الشجرة» التي أدهشت وفود الروم؟

***

إنه ما من شك لدى المنصفين من المؤرخين، أنه لولا قيام الحضارة الاسلامية في القرون الوسطى [2] وازدهارها في الشرق حين كانت أمم الغرب في ظلمات بعضها فوق بعض، لم تقم الحضارة الحاضرة، ولم يتمتع البشر اليوم بثمراتها

فالفتح الاسلامي إذن أعظم حادث في البطولة والفكر والعمران. وهو لغز غامض حيّر نابليون (نابغة العصر الحديث في فن الحرب) وحيّر المؤرخين كلهم. ذلك أن العرب على ما امتازوا به من الكرم والشجاعة والوفاء والعزة والاباء، كانوا في جاهليتهم بُداة متفرقين، وجاهليين وثنيين، منقسمين على أنفسهم، مختلفين فيما بينهم، لا يعرفون إلا جامعة القبيلة، ووحدة العشيرة، فاذا فخروا فبها يفخرون، وإن دافعوا فعنها

(١) حضارة العرب لأسعد داغر ٢٥٦

(٢) المذهب الصحيح في القرون الوسطى هو ما ذهب اليه المؤرخ الألماني (شبنكلر) وغيره من أن هذا التقسيم إلى قرون قديمة ووسطى وحديثة — إن صح وقبل — فلا يطلق على غير أوربة، ولا علاقة له بالشرق، لأن لكل حضارة مميزات خاصة، ومن الخطأ الجسيم سحب صفات القرون الوسطى على الشرق المسلم الذي كان إلى ذلك العهد في ذروة الرقي

يدافعون . . . إذا وجد العربي من القبيلة قافلة من غير قبيلته ، كان في حل من انتهاب مالها ، وقتل رجالها ، لا حكومة تنظم أمورهم ، ولا دين يردعهم ، إلا ديناً مضحكا سخيفاً ، دين من يتخذ رباً من التمر ، فاذا جاع أكله ، كما (أكلت حنيفة ربها . . .) ، أو من ينحت من الصخر صنما ، ثم يعكف عليه عابداً داعياً ، أومن يعبد الشجر والحجر . وكانوا يخشون كسرى ، ويرهبون قيصر ؛ وكان ملوكهم في الحيرة والشام تبعاً للفرس والروم وجنداً لها ، يضربون بعضهم ببعض ، ليذهبوا هم بالغنم ويعود العرب بالغرم ؛ وكان اتحاد قبيلتين اثنتين كبكر وتغلب في طاعة كليب ، أو قيس والسكون في جيش قيس بن معدى كرب حادثاً عجيباً يكسب صاحبه فخر الأبد ، وأمراً نادراً يلبث حديث الناس أياماً وليالي . . . فكيف يتحد العرب كلهم ، عدنانيهم وقحطانيهم ، ويسيرون في صف واحد ، يقدمهم رجل واحد ، حتى يواجهوا جيوش كسرى وقيصر التي يهابونها ويرهبونها ، ثم يضربونها الضربة القاصمة للظهر ، فاذا انجلى غبار المعركة نظرت فاذا المعجزة قد ظهرت على أتمها ، وإذا الأرض قد بدلت غير الأرض ، وإذا فارس الوثنية ، وسورية النصرانية ، ومصر الرومانية ، قد محيت كلها محواً ، وقامت مكانها أمم إسلامية في فارس وسورية ومصر ، كأنما هي لاخلاصها للعربية والاسلام لم تكن يوماً من الأيام على غير الاسلام ؟

أكان هذا الانقلاب ما بين لبلة وضحاها . . . أكان هذا التبدل الذي تغلغل في صميم الأمة العربية فغير كل شيء فيها وأنشأها إنشاء جديداً لأن رجلاً قام في مكة ، يتلو كتاباً جاء به ؟ أيقوى رجل مهما كان شأنه على مثل هذا العمل ويكون له في تاريخ العالم ومستقبل البشرية هذا التأثير ؟

هذا هو اللغز الذي حير المؤرخين من الغربيين ، ولم يعرفوا له حلاً معقولاً !

على حين أن الأمر واضح والسبب ظاهر ، ذلك أن هذا الأمر لم يكن عمل رجل عظيم من عظماء الناس ، ولكنه عمل الله جلت قدرته ، أظهره على يد سيد أنبيائه ، وخاتم رسله ، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

ذلك أن « الفتح الاسلامي » معجزة من معجزاته صلى الله عليه وسلم

***

هذا وإن من الخطأ أن نعد الفتح الاسلامي ، مثل ما نعرف من فتوح الأمم المختلفة في الأعصار المتباينة ، لأن للفتح الاسلامي طبيعة خاصة به تجعله ممتازاً عن سائر الفتوح ، وتنشىء له في التاريخ باباً خاصاً ، ذلك أن كافة الفتوح إنما كانت الغاية منها ضم البلاد المفتوحة إلى أملاك الفاتحين ، والانتفاع بخيراتها ومواردها ، لا نعرف فتحاً يخرج عن هذا المبدأ إلا الفتح الاسلامي ، فلم تكن الغاية منه ضم البلدان الى الوطن الاسلامي . وامتصاص دماء أهلها وأموالهم ، واستغلال مواردها الطبيعية وخيراتها ، ولكن غايته نشر الدين الاسلامي ، والسعي لاعلاء كلمة الله ، وإذاعة هدى القرآن في الأرض كلها ؛ فكانوا كلما وطئوا أرضاً عرضوا على حكومتها وشعبها الاسلام ، فأن قبلوا به واتبعوه ونطقوا بكلمة الشهادة انصرفوا عنهم وعدوهم إخوانهم لهم مالهم وعليهم ما عليهم ، لا فرق بين أمير المؤمنين وآخر مسلم في أقصى الأرض ؛ كلهم سواء في الحقوق والواجبات (١) ، ولا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى . وإن لم يقبلوا بالاسلام عرضوا عليهم الجزية ، وهي أقل بكثير مما كانوا يدفعونه الى ملوكهم وأمرائهم ، وسموهم ذميين لهم ذمة المسلمين ، وأعطوهم الحرية في أمور دينهم ودنياهم ، وتمهدوا لهم بالأمن الداخلي والخارجي . وإن أبوا أن يعطوا الجزية حاربوهم . . . ثم لم يكرهوا أحدا على الاسلام ، لأن في صحة الاسلام وفوائده في الدنيا والآخرة ما يغني في الدعوة اليه عن السيف . وما (دين محمد دين السيف) كما يهتف العامة والجاهلون ، ولكنه دين العقل والمنطق والعلم ، ، والمسلمون عامة دعاة مرشدون ، ولكنهم دعاة أقوياء ، يحملون القرآن بيد ، والسيف بالأخرى ، فمن قبل فما كانوا ليحاربوه ، ومن أبى وحاربهم أدبوه حتى يرجع الى الحق ، ويجنح الى السلم

ثم إن معاملة المسلمين للذميين ، ووفاءهم بعهودهم ، وصدق وعودهم وكرمهم وتسامحهم الذي شهد به الأصدقاء والأعداء ؛ وصار أشهر من أن يذكر ما يؤكد طبيعة « الفتح الاسلامي » ويرفعه عن أن يقاس به فتح آخر !

وهذه هي التواريخ فاستقروها واحكموا !

(بغداد) علي الطنطاوي

(١) في كتاب (عمر بن الخطاب) هذا فصل عن طبيعة الحكومة الاسلامية وحقيقة الخلافة فليراجع

كتاب أنساب الأشراف

للبلاذرى

للدكتور اسرائيل ولفنسون

أستاذ اللغات السامية بدار العلوم

يعلم كل من تتبع حركة النشر والطبع فى الأقطار الشرقية فى العصر الحديث أن كثيرا من المصنفات العربيـة العظيمة الشأن إنما نشرت بوساطة العلماء المستشرقين ؛ ومما لا شك فيه أن هذه العناية المفرطة إنمـا كانت من الأسباب المباشرة التى ساعدت على نمو النهضة العلمية فى الديار العربية

كنا نعلم أن كتاب السـيرة النبوية لمحمد بن اسحق من رواية عبد الملك بن هشام طبع للمرة الأولى سنة ١٨٥٩ — ١٨٦٠ بوساطة العالم ويستنفلد ، وكذلك تولى العلامة دى غويه بمعونة علماء آخرين طبع كتاب تاريخ الأمم والملوك لأبى جعفر محمد ابن جرير الطبرى فى ليدن من سنة ١٨٧٦ ، وكذلك طبع نخبة من المستشرقين كتاب الطبقات الكبرى لابن سـعد من سنة ١٩٠٥ — ١٩٢١

وكذلك طبع كتاب (كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون) لمصطفى بن عبد الله المشهور باسم حاجى خليفة من سنة ١٨٣٥ — ١٨٥٨ بمدينتى ليدن وليبسيك ، وكان ذلك تحت إشراف العالم فليجل ، وهو الذى تولى طبع كتاب فهرس ابن النـديم من سنة ١٨٧٠ — ١٨٧١

وليس هذا المقام مقام احصاء كل ما طبع العلماء المستشرقون ، وإنما سردت بعض الكتب القيمة العظيمة القدر التى لا نتصور حركاتنا العلمية ونهضتنا الأدبيـة دون الرجوع الى هـذه المصادر الهامة

وهناك أمر آخر له خطره فى أمر نشر المصنفات العربيـة بوساطة المستشرقين وهو أنهم أساتذة لنا ، معشر الشرقيين ، فى إخراج المطبوعات على الطريقة العلمية المجدية ، إذ هم ليسوا طابعين وناشرين فحسب كما اعتدنا أن نرى من الناشرين للمؤلفات عندنا ، بل هم يعملون الى المراجعة بعناية ، والمقابلة بمـا ورد فى الكتاب الذى أمامهم بالمصادر والمراجع الأخرى ، ويذيلون مطبوعاتهم بحواش هى غاية فى الدقة والخطورة فى أغلب الأحوال

وقد لاحظنا أن بعض الناشرين عندنا عمدوا إلى إعادة طبع ما طبعه المستشرقون فى أوربا ، ولكن مع الأسف الشديد جاء عملهم ماسخاً لمـا عمله المستشرقون مشوهاً له ؛ إذ كانت الطبعة الثانية غير مضبوطة ، كثيرة الأغلاط ، فاحشة الأخطاء

على أن بعض الأفراد ممن تثقف فى أوربا ، وممن اتصل بالحركة العلمية الأوربية قد بدأ ينشر بعض المصنفات العربية على الطريقة المألوفة عنـد الافرنج ، وخصوصاً ما ظهر من الهمة والعزيمة فى نشر الكتب تحت إشراف دار الكتب المصرية ، فلا شك أن عمل دار الكتب يعد صفحة بيضـاء جديدة فى تاريخ نشر الكتب والعرفان فى الشرق . على أننا نريد أن نقول لدار الكتب كلمة صريحة نؤجلها إلى فرصة أخرى إن شاء الله

ذكرت ذلك بمناسـبة تولى المعهد الشرقى بالجامعة العبرية بالقدس نشر كتاب أنساب الأشراف للبلاذرى الذى ظهر منه فى الآونة الأخيرة الجزء الخامس

ذاع صيت احمد بن يحيى بن جابر البلاذرى فى العصور الأخيرة بوساطة كتابه الصغير فتوح البلدان الذى أقدم العالم دى غويه على طبعه سنة ١٨٦٦ بمدينة ليدن . أما مصنفه العظيم المذكور فى معجم ياقوت الحموى باسم أنساب الأشراف (معجم الأدباء ج ٢ — ص ١٣١) أو كما سماه ابن النـديم بكتاب الأخبار والأنساب (فهرس ص ١١٤) أو كما يقول الشريف المرتضى (الشافى ص ٢٦٠ ، ٦٨٨) كتاب البلاذرى ، أو كما يشير ابن عساكر إلى البلاذرى ويصفه بصـاحب التاريخ (تاريخ دمشق ص ١٣١)

وهو الكتاب الذى ارتشف من منهله المتقدمون والمتأخرون ممن جاءوا بعد البلاذرى من كبار الأدباء والمؤرخين والجغرافيين مثل الشريف المرتضى الذى توفى سنة ٤٣٦ ، وابن عساكر الذى توفى سنة ٥٧١ ، وياقوت الحموى الرومى الذى توفى سنة ٦٢٦ ، والنويرى الذى توفى سنة ٦٣٢ ، وابن خلكان الذى توفى سنة ٦٨١ ، وابن حجر العسقلانى الذى توفى سنة ٨٥٢ ، وابن تغرى بردى الذى توفى سنة ٨٧٤ . أما هذا الكتاب فقد توارى عن العيون فى العصور الأخيرة ومن عليه العلماء من الكرام حتى أصبح

نسياً منسياً إلى أن جاء العالم أهلوارت فى سنة ١٨٨٣ وأخرج جزءاً منه كان يشك بعض العلماء فى صحة نسبه إلى البلاذرى . ثم حدث أن أعلن الأستاذ بيكر (C. H. Becker) فى مؤتمر المستشرقين الثالث عشر أنه عثر على نسخة كاملة من كتاب أنساب الأشراف فى الآستانة ولم يحفظ الدهر لهذا الكتاب نسخة كاملة غيرها ؛ وكان قد عقد النية على نشر الكتاب ولكن كبر حجمه من ناحية ومشاغل الأستاذ بيكر من ناحية أخرى عاقته عن المضى فى تحقيق هذا المشروع إلى أن اقترح عليه الأستاذ جوتهلد وبل الذى كان مديراً للقسم الشرقى من مكتبة برلين الكبرى على العلامة بيكر أن يعرض مشروع طبع أنساب الأشراف على هيئة تدريس اللغة العربية فى الجامعة العبرية بالقدس ففعل

***

أما المخطوط من هذا الكتاب فيشتمل على ١٢٢٨ صفحة ، وهو أكبر حجما من الطبقات الكبرى لابن سعد أو أقل قليلاً من كتاب التاريخ لابن جرير الطبرى ؛ وهو يحث مفصل فى أنساب العرب يبدأ دراسته بالتاريخ القديم من عهد نوح وذريته إلى سيدنا ابراهيم خليل الله وأعياصه ، ثم ينتقل إلى قريش وبنى هاشم ويبحث فى أصلهم وفصلهم ، ثم يقص سيرة الرسول وأخبار على بن أبى طالب وما جرى فى عهد الخلفاء الراشدين ، ويفصل تفصيلاً كثيراً مطولاً تاريخ بنى أمية حتى تشتمل أخبارهم على ثلث الكتاب بأجمعه . ومع أنه كان من الموالين لبنى العباس وكان يشغل منصباً رفيعاً عند خلفائهم فان ما ورد بشأنهم من الحوادث والأخبار لا يتجاوز سبعين صفحة من المخطوط الكبير

وكذلك يوجه عناية شديدة إلى قبائل مضر الآخرين فيتعرض لأنساب كنانة وأسد وهذيل وعبد مناة ومزينة وتميم وقيس وذبيان وفزارة وعبس وهوازن وسليم وثقيف

ولم يذكر قبائل ربيعة واليمن لأن المنية عاجلته عن اتمام كتابه إذ لقى حتفه فى أوائل عهد الخليفة المعتضد سنة ٢٧٩ (كشف الظنون ج ١ ص ٢٧٤)

ومع أن هناك مصنفات فى أنساب العرب قبل البلاذرى إذ كان محمد بن هشام الكلبى الذى توفى سنة ٢٠٤ قد وضع كتابه جمهرة الانساب والهيثم بن عدى ألّف مصنفاً فى تاريخ الأشراف وهو ممن توفى فى أوائل القرن الثالث فان كتاب انساب الأشراف للبلاذرى يعد فى الذروة مما وصل إليه الأدب التاريخى عند العرب فى الأنساب

والبلاذرى لم يكتف بجمع الأخبار من مصنفات من سبقه بل جمع كثيراً من الأخبار من السجلات الرسمية التى كانت فى خزائن الدولة ؛ وهو على ميله إلى العباسيين لا يظلم بنى أمية بل يقص عنهم أخباراً كثيرة تدل على أن له حنكة المؤرخ الذى يتغلب على شعوره ويتجرد عن أهوائه ، وذلك أمر لابد للمؤرخ المنصف منه

***

والكتاب الذى طبع الآن ليس الجزء الأول بل الخامس منه ، إذ وزعت صفحات المخطوط على جملة من العلماء لم يتمكنوا إلى الآن من اتمام العمل الذى كلفوا أن يقوموا به

وكان الجزء الخامس قد وكل أمر العناية به إلى الأستاذ س . د . جويتاين وهو الآن فى العقد الرابع من العمر تخرج من جامعة فرنكفورت بألمانيا وكان من خيرة تلاميذ الأستاذ المرحوم يوسف هورفيتس واختاره للتدريس بالجامعة العبرية بالقدس

وقد بذل الأستاذ جويتاين جهده مدة سنين كثيرة فى مراجعة صفحات المخطوط وأخرجه بعد عناء ومشقة على النسق المألوف عند كبار المؤلفين من المستشرقين مع مقدمة علمية بحث فيها الناشر فى أصل تسمية الكتاب وما يحتوى عليه مع مقارنة بين من سبقه وبين من أتى بعده من المؤرخين وبيّن ما أخذه ممن كان قبله ومن أخذ عنه ممن جاء بعده

ومما يؤسف له أن هذه المقدمة النفيسة قد وضعت بالعبرية من ناحية ، وبالترجمة الانجليزية من ناحية أخرى ، وقد اكتفى الناشر بكلمة موجزة بالعربية . كان من الواجب أن يصدر بالمقدمة العربية قبل كل شىء ، لأن الكتاب عربى موجه إلى الناطقين بالضاد قبل غيرهم ، وإذا كان جمهرة من العلماء الافرنج يدرسون كتاب أنساب الأشراف فهم يستطيعون أن يدرسوا المقدمة بالعربية أيضا

وكذلك أقول عن الذيل الذى وضع بالانجليزية كأن

٨ - تاريخ العرب الأدبي

للأستاذ رينولد نيكلسون

ترجمة حسن محمد حبشي

الفصل الأول

وقد استمر إرياط يتوغل فى اليمن بعد موت ذى نواس الحميرى « فقتل ثلث رجالها وخرب ثلث بلادها ، وبعث إلى النجاشى بثلث سباياها ، ثم أقام بها فضبطها وأذلها [(١)] ، ثم نازعه فى أمر الحبشة باليمن أبرهة الحبش ، وكان فى جنده حتى تفرقت الحبشة عليهما ، فانحاز إلى كل واحد منهما طائفة منهم ؛ ثم سار أحدهما إلى الآخر ، فلما تقارب الناس ودنا بعضهم من بعض أرسل أبرهة إلى إرياط « إنك لن تصنع بأن تلقى الحبشة بعضها ببعض حتى تفنيها شيئاً ، فابرز لى وأبرز لك ، فأينا أصاب صاحبه انصرف إليه جنده » فقبل أبرهة ، وكان رجلاً قصيراً لحما حادراً وكان ذا دين فى النصرانية ؛ وخرج إليه ارياط وكان رجلاً عظيما طويلاً وسيما ، فرفع إرياط الحربة فضرب بها على رأس أبرهة يريد يافوخه ، فوقعت على جبهة أبرهة فشرمت حاجبه وعينه وأنفه وشفته ، فسمى أبرهة الأشرم ، وحمل غلام أبرهة عتودة على إرياط فقتله ، فملك أبرهة ، ثم كتب الى النجاشى : « أيها الملك إنما كان إرياط عبدك وأنا عبدك فاختلفنا فى أمرك ، وكلٌّ طاعته لك ، إلا أنى كنت أقوى منه على أمر الحبشة وأضبط لها وأسوس ، وقد حلقت رأسى كله حين بلغنى قسم الملك وبعثت إليه بجراب من تراب أرض اليمن ليضعه تحت قدميه فيبر قسمه » فثبته النجاشى . ثم إن أبرهة بنى « القليس » بصنعاء لم ير مثلها فى زمانها ، ثم كتب إلى النجاشى : « إنى قد بنيت لك كنيسة ولست بمنته حتى أصرف إليها حاجّ العرب » فلا كت الألسن ذلك فقام رجل من بنى فُقَيم : فخرج إلى القليس فقعد فيها ، ثم خرج فلحق بأرضه فأخبر بذلك أبرهة فحلف ليسيرن الى البيت فيهدمه » ولكن الفشل الذريع الذى منيت به هذه الحملة التى وقعت عام الفيل (سنة ٥٧٠ م) لم يحرر بلاد اليمن فى الحال من نير الأحباش ، إذ أن ولدى أبرهة يكسوم ومسروق كانا عبئاً ثقيلاً على العرب ضجوا منه . وقام فى ذلك الحين أحد أشراف حمير واسمه « سيف بن ذى يزن » مستحثا الهمم ، ولكن ضاعت دعوته إياهم أدراج الرياح . ولما لم ير مساعدة من قومه وجه وجهه شطر الاستعانة بغوث أجنبى ، وتردد بين قيصر الروم وكسرى فارس ، فمضى أولاً الى القسطنطينية فردّه القيصر خائباً ، فطلب من والى الحيرة العربى الذى كان خاضعاً لفارس أن يقدّمه الى بلاط المدائن ؛ ولكن كيف استطاع أن يكسب عطف الملك الساسانى أنو شروان الملقب بالعادل حتى أرسل معه ثمانمائة مقاتل من نزيلى السجون ممن أطلق سراحهم ؟ وكيف أبحروا معه الى اليمن وعلى رأسهم قائد طاعن فى السنّ ؟ وكيف أحرقوا مراكبهم واستمدوا من اليأس قوّة ، وكيف هزموا الأحباش هزيمة منكرة وطردوهم واستردوا اليمن وجعلوها ولاية فارسية [(١)] . . . كل هذا يسوقنا الى سرد قصة طويلة آثرت تخطيها وإغفالها فى مثل هذا المجال ، لأنها تتصل بتاريخ الفرس أكثر من اتصالها بتاريخ الأدب العربى ، تلك الأمور التى قامت — كما رجح نلدكه — على أخبار لقنها الغزاة الفرس الذين

(١) وفى ذلك قال بعضهم ذاكرا ما ساق إليهم دون ذو ثعلبان من أمير الحبشة : « لا كدوس ولا أعلاق رحله » (المترجم)

(١) يجد القارئ بياناً وافياً وتفصيلا شاملا لهذه الأمور كلها فى كتاب تاريخ الفرس الأدبى Lit Hist. of Persia للاستاذ براون ج ١ ص ١٧٨ — ١٨١

الكتاب إنما كان موجهاً إلى العلماء الغربيين لا للأندية المثقفة من أبناء الشرق أيضا

وإنى أوجه أنظار الأساتذة العاملين على إخراج بقية أجزاء الكتاب ألا يتورطوا فيما تورط الأستاذ جويتاين من مسألة المقدمة والذيل التى أغفل فيهما العربية إغفالاً يكاد يكون تاماً

والذى نتمناه من صميم الفؤاد أن يبادر بقية العلماء القائمين بمراجعة الكتاب باخراج الأجزاء الأخرى حتى يستفيد العالم العربى عاجلاً من كتاب أنساب الأشراف الذى يعد بحق من أمهات المصادر لكل من يبحث فى عصر ظهور الاسلام ونجره وضحاه

اسرائيل ولفنسون (أبو ذؤيب)

استوطنوا اليمن لأبنائهم الأشراف ، الذين يسميهم العرب الأبناء أو بنى الأحرار

وإنا لنترك الآن مملكة اليمن وقد تهاوت دعائم قوتها ودالت دولتها وسقطت من علياء مكانتها الى الأبد ، ونعود ناحية الشمال فى دراسة التاريخ العربى :

الفصل الثانى

تاريخ العرب الوثنيين وأساطيرهم

يسمى المسلمون الفترة الواقعة منذ فجر التاريخ العربى حتى ظهور الاسلام بالجاهلية ، وقد ورد هذا اللفظ فى أربع فقرات فى القرآن ، ويقصد به عادة « الجهل » ، وإن كان جولدزيهر قد أوضح أن المدلول الذاتى لكلمة « جهل » (الذى اشتقت منه الجاهلية) عند شعراء ما قبل الاسلام لا يقصد به « عدم المعرفة » أو « الوحشية » و « الهمجية » ، وليس المعنى المضاد لكلمة « علم » ، ولكنه عكس معنى حلم المعبّر عن التهذيب الأدبى عند الرجل المثقف . « وحينما يقول المسلمون إن الاسلام قضى على طبائع وعادات الجاهلية فأنهم يقصدون بذلك العادات المستقبحة ، وهذا الخلق الهمجى الذى تفترق به الوثنية عن الاسلام ، وبالمستهجن من الطباع التى جدّ محمد (ص) فى استئصالها من نفوس قومه : كحمية الجاهلية ، والعصبية القبلية ، والجد فى طلب الثأر ، والحقد ، وغير هذا من طبائع الوثنية المستهجنة التى قضى عليها الاسلام »[1]

وإن المصادر التى نستمد منها صورة حياة هذه الفترة لتندرج تحت أربعة أبواب كما يلى :

(١) القصائد والمقطعات الشعرية التى وإن لم تكن قد دونت فى ذلك الحين إلا أنها ظلت محفوظة بالرواية الشفهية ، ثم كتب معظمها بعد ذلك بقرنين أو ثلاثة قرون ، وهى فى الحقيقة الأثر الوحيد الذى بين أيدينا عن تاريخ العصر السابق للاسلام ، وتتضح أهميتها من القول المأثور « إن الشعر ديوان العرب وجامع شتات المحاسن التى سلفت لهم » وسيرى القارئ فى الفصل التالى بعضاً من الشعر العربى فى تلك الفترة

(٢) الأمثال وهذه أقل قيمة من الشعر ، إذ قلما تفسر نفسها بينما يكون الشرح المرفق بها من عمل الأدباء الذين يدأبون على تفسيرها ، ولو أنه فى حالات عدة يؤتى بمعانيها ومقصودها على سبيل الحدس ، كما نسيت الظروف التى بعثتهم على إرسالها ، وبالرغم من هذا فقد كنا نخسر شيئاً جسيما لو لم تكن بين أيدينا المجاميع الشهيرة للمفضل بن سلمة[1] (المتوفى حوالى ٩٠٠م) والميدانى[2] (١١٢٤ م) التى تضمنت إشارات عجيبة وأخباراً تلقى بصيصاً من النور على كل جوانب الحياة التى سبقت ظهور الاسلام

(٣) الأخبار والأقاصيص : لما لم يكن للعرب الوثنيين — على العموم — معرفة بفن الكتابة الخطية واستعمالها فقد كان من المستحيل أن تقوم للنثر — باعتباره فناً أدبيا — قائمة فيهم ، ومع ذلك فان بذور النثر الأدبى يمكن إرجاعها الى عصر الجاهلية ، وعدا المثل والخطبة نجد عناصر التاريخ والقصة فى القصص النثرى الذى كان يقدمه الحفاظ والرواة لتوضيح موضوع أغانيهم ، وفى القصص التى تعدد مآثر القبائل وأبنائها . وإن العدد الوفير من هذه القصص (التى يرجع بعضها الى أصل حقيق والآخر يحمل طابع الخرافة) لمثبوت فى ثنايا المؤلفات الأدبية والتاريخية والجغرافية التى وضعت أيام الدولة العباسية وخاصة فى كتاب الأغانى[3] لأبى الفرج الأصفهانى (٩٦٧ م) وهو مجموعة ثمينة قامت على دراسة الشخصيات[4] الأدبية الكبيرة فى القرنين الثانى والثالث للهجرة . وقد ضاعت الكتابات الأولى لهؤلاء الأدباء والنقاد دون استثناء ، ولولا اقتباسات الأغانى الكثيرة لما كان فى متناول أيدينا نماذج من آثارهم . ويقول ابن خلدون عن هذا السفر : « إن أبا الفرج جمع فيه أخبار العرب وأشعارهم وأنسابهم وأيامهم ودولهم ، وجعل مبناه على الغناء فى المائة صوت التى اختارها المغنون للرشيد ، فاستوعب فيه ذلك أتم استيعاب

(١) Goldziher Muhammedaniahe Studien, Part I, P. 225.

(١) لقد أصبحت مجموعة أمثال المفضل بن سلمة الكوفى المساة « بالفاخر » فى متناول اليد إذ طبعها طبعة أنيقة مستر C. A. Stotey فى ليدن ١٩١٥

(٢) طبع أمثال الميدانى وترجمها اللاتينية Freytag فى ٣ مجلدات (طبعة Bonn ١٨٣٨ — ١٨٤٢ م) تحت اسم Arabum Proverbia

(٣) طبع كتاب الأغانى فى بولاق مصر (١٢٨٤ — ١٢٨٥ هـ) فى عشرين مجلدا ، وقد أضاف اليها Brünnow مجلدا بأسماء الأعلام الذين ترجم لهم أبو الفرج فيه ، وهو مطبوع فى ليدن عام ١٨٨٨ م . وتقوم دار الكتب المصرية حديثا بطبع الأغانى طبعة منقحة مع ملاحظات نقدية

(٤) هكذا يسميهم سير شارلز ليل

وأوفاه ، ولا يعدل به كتاب فى ذلك فيما نعلم وهو الغاية التى يسمو إليها الأديب ويقف عندها [1]

ولن أحاول فى الصفحات التالية أن أضع فى ترتيب واتصال هذه الأشعار والقصص المضطربة التى رسخت فى الأذهان واندس بين ثناياها جميع ما نعرفه عن بلاد العرب فى العصر السابق للاسلام ؛ إذ أنجز هذا خير إنجاز وفى دقة عجيبة كوزان دى برسيفال[2] فى كتابه : Essai sur l'histoire des Arabes avant l'Islamisme وليس هناك ثمت جدوى مطلقاً من أن أسوق للقارئ موجزاً مقتضباً لهذا العمل القيم ، والأجدى — كما يتراءى — أن أسوق للقارئ بضع ظواهر واضحة بينة تمثل هذه الفترة كما وضعها العرب أنفسهم . وإذا كانت الأحاديث العربية يعوزها الدقة التاريخية فانها فى مجموعها تكشف القناع عن الروح السائدة فى العصر المظلم الذى تستحضره من غياهب الزمن السحيق وتبرزه أمامنا

وفى حوالى منتصف القرن الثالث المسيحى كانت تتاخم بلاد العرب من الشمال والشمال الشرقى امبراطوريتان تتنافسان فى الزعامة هما دولة الروم ودولة الفرس اللتان تفصلهما صحراء الشام عن بعض ؛ ولما رأى الفرس أنهم عرضة لغزوات البدو الذين كانوا يشنون الغارات بين حين وآخر على الحدود ، ويستولون على ما يصل أيديهم من الغنائم ، ثم يختفون بنفس السرعة التى اتسمت بها إغاراتهم ، لما رأوا ذلك وجدوا الضرورة تدعوهم إلى إيجاد حامية على طول حدود هذه الصحراء ، وبهذا أمكن صدّ غزوات القبائل البدوية وغاراتها ، ولكن تبيّن أن القوة علاج غير ناجع تماماً ، فضلاً عما تكلفه الدولة ، وعملاً بالمثل القائل : « فرّق تسد Divide et impera » فقد ارتُؤى ادخال بعض القبائل المغيرة فى خدمة الامبراطورية . ومما أدّى إلى عدم قيام البدو بأى اضطراب دفع شىء من المال لهم بانتظام ، واستعدادهم على الدوام للغزو الفجائى إذ كان الروم والفرس فى هذه الأيام فى حروب لا يخمد أوارها ولا يخبو ضرامها ، ومن ثم فقد حاربوا كمحالفين أحرارا تحت لواء أمرائهم أو شيوخهم . وبهذه الوسيلة ظهرت أسرتان عربيتان هما دولة الغساسنة فى سورية واللخميين فى الحيرة غرب الفرات ، وكانتا فى نزاع دائم واصطدام ونزال ، حتى ولو لم تكن تدفعهما من الخلف قوة الامبراطوريتين ، وسرعان ما ظهرت كفاية العرب الحربية ومهارتهم حينما درّبوا على الأسلحة . وفى أثناء حرب ڤاليران مع كسرى سابور الأول خرج شيخ عشيرة عربى فى « تدمر » ويدعى أذينة وسار على رأس قوة كبيرة ضد المغير ونازله وفرّق شمله وطرده من سورية واقتفى آثاره حتى ردّه الى أبواب المدائن عاصمة فارس سنة ٢٦٥م ولقد قدر الامبراطور جاليانوس Gallienue صنيعه الباهر فأنعم عليه بلقب Auguatus « العظيم » ، ولقد كان فى الحقيقة السيد المطاع فى الكتائب الرومانية فى الشرق ، ولكنه قتل غيلة فى العام التالى وكان فى زوجته زينوبيا (الزباء) خير خلف ، فأخذت على عاتقها تشييد امبراطورية شرقية ضخمة ، ولم يكن نجاحها أعظم من نجاح كليوباترا فى مثل هذه المحاولة ، ولكن حدث ما ليس فى حسبانها إذ انتصر أرليان واقتيدت « ملكة الشرق » المتكبرة أسيرة أمام عربته فى شوارع رومة عام ٢٧٤ م

(يتبع) حسن محمد حبشى

(١) مقدمة ابن خلدون (بيروت ١٩٠٠) ص ٥٥٤

(٢) وقد طبع فى باريس (١٨٤٧ — ١٨٤٨) فى ٣ مجلدات

مرثية توماس جراى

نشر الأستاذ علي الطنطاوي في (الرسالة) عدد ١٧٨ بتاريخ ٣٠ نوفبر سنة ١٩٣٢ ترجمة لمرثية جراى الشاعر الانجليزي الشهير نقلاً عن قراءة صديقه الأستاذ حيدر الركابي، والأستاذ الطنطاوي أديب فنان لا يشق له غبار في كل ما يكتب، ومن الأفذاذ الذين رفعوا رأس الأدب العربي الحديث عالياً، ومن الملهمين الذين أراد الله لهم ولأدبهم الخلود ليؤدوا رسالة الأديب الفنان للمجتمع الذي يعيش فيه. ومما لا شك فيه أن الأستاذ الطنطاوي يؤلمه أن يقوم إنسان فيغير على آثاره الأدبية يترجمها ويقول على لسانه شيئاً لم يقله، أو يشوه أفكاراً وتعابير خالدة في فنه. ومما لا شك فيه أيضاً أن المترجم يحمل أمانة في عنقه لمن يترجم عنه، وعليه أن يؤديها غير منقوصة، وألا ينقل إلا الواقع وإلا ما أراده ذلك المترجم عنه. وعندي أن الأستاذ لو ترجم المرثية عن أصلها لبان له من روحه الفنانة وإخلاصه ما يجعل ترجمته في دقتها تقف في صف واحد مع ترجمة جرالد للرباعيات الخيامية المشهورة. ولو كانت صفحات الرسالة تتسع لأكثر من هذا القدار لقدمت أمثلة على عدم دقة النقل؛ والذي يراجع الأصل لا يجد صعوبة في اكتشاف ذلك وهو كثير. على أن الواقع يدفعني إلى تقديم الشكر للأستاذ الطنطاوي على الاجادة التي لا تجارى في ترجمته التي كادت أن تقرب من الكمال. وإنا لنرجو أن يتبارى الشعراء في نقل هذه القطعة الخالدة إلى الأدب العربي شعراً بالرجوع إلى الأصل مع الاستعانة بترجمة الأستاذ المذكورة

وزيادة لفائدة القراء رأيت أن أذكر مختصراً لحياة الشاعر توماس جراى وعن الظروف التي رافقت نظم تلك المرثية

توماس جراى Thomas Gray

ولد في السادس والعشرين من ديسمبر ١٧١٦ في كورنهل (Cornhill)، حيث كانت والدته وشقيقتها يتجران بقبعات السيدات، وكان والده فيليب جراى كاتب عقود رسمية، وكان هو الوحيد الذي عاش من أسرة عدد أفرادها إثنا عشر شخصا. وفي سنة ١٧٢٧ التحق بكلية إيتون حيث كان عمه مدرساً مساعداً في تلك الكلية، وهناك نشأت صداقته المتينة مع ريتشارد وست، وهراس ولبول، وتوماس اشتون

وترك كمبردج في السنة التالية دون أن ينال أجازة علمية؛ ورحل في عام ١٧٢٩ إلى القارة مع صديقه الحميم هراس ولبول في رحلة استغرقت ما يقرب من التسعة أشهر، وعاد بعدها الى لندن. وفي سنة ١٧٤١ توفي والده فانتقلت والدته وشقيقتها إلى المعيشة مع أخت ثالثة اسمها ماري في مقاطعة بكنجهام شير (Buckingham Shire)، وهناك نظم أول قصيدة عنوانها اجريبنا (Agrippina)

وفي عام ١٧٤٢ مات صديقه ريتشارد وست، فرثاه رثاء مؤثراً. وفي هذه السنة عاد إلى كمبردج وبقي مدة سنتين حصل في نهايتهما على درجة بكالوريوس في الحقوق

وبعد ذلك بخمس سنوات توفيت خالته ماري وأحرق منزله في كورن هل

وفي عام ١٧٥٠ أكمل مرثيته التي نحن بصددها، وبعد ذلك بثلاث سنوات توفيت والدته. وفي سنة ١٧٥٧ عرض عليه أن يكون شاعر العرش البريطاني الذي خلا بموت كولي سيبر (Colley Cibber) فرفض ذلك. وبعد ذلك بخمس سنوات عرض نفسه ليكون مدرساً للتاريخ بدلاً من الدكتور ترنر المتوفى في تلك السنة، ولكن اللورد بيوت حال بينه وبين هذا الأمنية التي نالها بعد ثماني سنوات

وفي سنة ١٧٦٥ زار اسكتلندا وهناك عرضت عليه جامعة أبردين Aberdeen أن تمنحه لقب دكتور في الحقوق فرفض ذلك مستنداً الى أن دراسته في كمبردج لا تؤهله لقبول مثل هذا اللقب. وبعد ذلك بأربع سنوات نظم نشيده المشهور Ode fo music الذي مُثل عند تولية دوق جرافتون رئاسة الجامعة التي كان يدرس فيها التاريخ الحديث، وزار في تلك السنة منطقة البحيرات

وفى سنة ١٧٧١ توفى فجأة بينما كان يتناول طعام الغداء ، الى جانب والدته فى ساحة الكنيسة فى Stoke Poges فى مقاطعة بكنجهام شير

هذا مختصر لحياة هذا الشاعر . وفيما يلى وصف لظروف المرثية :

Elegy Written in a Country Churchyard

ابتدأ فى نظم هذه المرثية فى عام ١٧٤٢ ولكن القسم الأعظم منها كتبه بين السنوات ١٧٤٦ — ١٧٥٠ ، وقد أتمها فى اليوم الثانى عشر من شهر يونيه سنة ١٧٥٠ ، وفى العاشر من فبراير أرسل إليه رئيس تحرير مجلة المجلات الانجليزية Magazine of Magazines يستأذنه فى نشرها فى مجلته فرفض طلبه . وعند ذلك أسرع وطلب إلى صديقه هراس ولبول أن ينشرها على الناس دون إمضاء . وفى السادس عشر من نفس الشهر طبعت فى كراسة بعنوان « مرثية كتبت فى ساحة كنيسة قرية » مع المقدمة التالية من ولبول : « لقد وقعت القصيدة التالية فى يدى مصادفة ، إذا جاز أن يدعى انتشار هذه القطعة وذيوعها بين الناس عرضا . إن الاستحسان الذى صادفته هذه القصيدة سيجعل اعتذارى لمؤلفها فى غير محله ، لأنه ولا شك يشعر باغتباط شديد لاعجاب الناس وسرورهم بها فيما مضى . ومما لا شك فيه أيضاً أنه سيغفر لى جرأتى على النشر ، لأشاركه تقديم المسرات لعدد آخر غير قليل »

وهناك ثلاث نسخ بخط الشاعر جراى نفسه محفوظة حتى اليوم . فالأولى كانت سابقاً ملكا للسير W. Fraser وهى الآن فى كلية ايتون ، ومن المحتمل أن تكون النسخة الأصلية . والثانية تخص Wharton ورتون وهى موجودة فى المتحف البريطانى تحت الرقم (٢٤٠٠) . والثالثة فى كلية بيمبروك Pemdroke وفى آخر هذه النسخة كتب جراى بخطه أيضاً ما يأتى : « نشرت فى فبراير سنة ١٧٥١ بواسطة دوزلى وأعيد طبعها أربع مرات شهرين ، وبعد ذلك طبعت الطبعة الخامسة حتى الحادية عشرة . وأعيد طبعها فى ١٧٥٣ بواسطة مستر بنتلى ثم ترجمت الى اللاتينية وطبعت فى عام ١٧٦٢ »

(نابلس) ف . . . . . .

الثقافة والأنتاج العلمى

فى فلسطين

للأستاذ قدرى حافظ طوقان

لا يختلف اثنان فى أن الوضع الحاضر فى فلسطين شاذ وغير طبيعى وهو غيره فى الأقطار الشقيقة المجاورة ، فالكل يقاسى آلاماً مبرحة من الاستعمار والمستعمرين ، والكل واقع تحت نير الاستعباد والعبودية ؛ ولست واجداً أحداً يرضى عن السياسة المتبعة فى بلاده وعما يجرى حوله ، إلا أن هناك فرقاً بين فلسطين وغيرها من البلاد المجاورة ، ففى هذه جبروت واحد وطاغية واحد ، وهنا جبروتان وطاغيتان قد تسلحا بالخبث والمكر والقوة والدهاء ، وعلى هذا فالمصيبة هنا أعظم والبلاء هنا أعم والخطر محقق والفناء يتهدد

ومن الطبيعى أن بلاداً هذه حالها لا تكون صالحة للانتاج العلمى ولا لازدهار الثقافة والأدب بالمعنى الواسع . ومن الطبيعى أن تؤثر هذه الأوضاع على الشباب المثقف وعلى الأدباء والعلماء فتأخذ قسما من أوقاتهم ومجهوداتهم وتفكيرهم يصرفونها فى مبادئ السياسة لدرء الأخطار المحدقة ، ولتخفيف المصائب المنصبة علينا انصباباً من كل جانب . وكيف يمكن لثقافة أن تنمو ، ولقريحة أن تنتج وتبتدع إذا لم تكن تلك القريحة فى جو من الحرية ، وفى محيط خال من القيود والاغلال ليس فيه من يسخرك لمنافعه ومصالحه ، وليس فيه من يسعى للقضاء على معنوياتك ، وعلى قتل الطموح فيك ؟

وكيف يمكن لشاب أن يعكف على العلم بقصد الاستزادة والاكتشاف والبحث والاستقصاء إذا لم يكن هناك من يساعده ويشجعه ويأخذ بيده ؟ فكيف به إذا وجد فى محيط كله تثبيط للهمم ، وكله إحباط للعزائم ؟ . وإذا تتبعنا الطرق التى تسير عليها الحكومات المستعمرة فى مختلف دوائرها ، ولا سيما المعارف منها نجد أنها ترمى إلى القضاء على روح الطموح ، على روح البحث وحب الاستزادة من العلوم والفنون ؛ ترمى إلى خلق روح الاعتماد فى الناشئة على الغير ، إلى إماتة الروح الوطنية ،

وبث روح الاستهتار بالتراث العربي والاسلامي وانتقاصهما بشتى الوسائل ، وفوق ذلك نجدهم (المستعمرين) يشغلون أوقات الناس والوظفين في أمور ليس فيها متاع ، وليس فيها ما يعود على البلاد بخير أو انتفاع . فمن الطبيعي إذن — هنا وفي البلاد المرزوءة بالاستعمار — أن الحكومات فيها لا تشجع العلم ولا تحث على متابعته ، ولا على إيجاد رغبة صادقة في التأليف والبحث على الرغم من حاجة الأمة إلى كل ذلك . وإذن فلا محل لغرابة الكثيرين في موقف الحكومة تجاه المؤلفين وتجاه الذين يلاحقون فروعهم في العلم والفن ، بل الغرابة كل الغرابة في حسن ظن هؤلاء الكثيرين بالحكومات المنتدبة والاعتماد عليها في تشجيع الناس في التنور والتقدم وقد جهلوا أو تناسوا أن هذه الحكومات تسير على برنامج استعماري خاص من شأنه أن يقضي على كل ما من شأنه رفع مستوى الأمة ورقيها . لهذا وجب على العلماء العرب أن يلتفتوا إلى هذه الناحية ، وأن يعيروها بعض اهتمامهم ، وأن يعتمدوا على أنفسهم قبل كل شيء ، وأن يأخذوا من موقف الحكومات قوى تحفزهم إلى توسيع الحركة الثقافية في فلسطين وغيرها ، ونشر روح البحث والاستقصاء بين المثقفين ، ويقضي الواجب الوطني على الشباب العامل والأساتذة أن ينحوا في تعليم الناشئة وتثقيفها ناحية قومية وطنية ، وقد يجدون في هذا صعوبة ، وقد يصادفون أمامهم عقبات ، ولكن عليهم أن يجاهدوا ويصرفوا بعضاً من مجهوداتهم في التغلب على ذلك ، وفي توجيه التعليم والثقافة توجيهاً يخلق في النشء روح الاعتزاز بالقومية وروح الاعتقاد بالقابلية ، يخلق في الناشيء شخصية قوية وكياناً مستقلاً ورجولة مستعدة لتلبية نداء الوطن قادرة على المساهمة في خدمة الحضارة . ويقضي الواجب الوطني على الباحثين أن ينحوا ببحوثهم الناحية القومية ، وأن يبينوا للناشئة فضل العرب الكبير على المدينة ، وقد تبوأوا مركزاً سامياً لم يتبوأه غيرهم أيام كانوا سائرين على النهج القويم الذي وضعه الرسول وصحبه وخلفاؤه ، أيام كان الاهتمام باللباب دون القشور ؛ بهذا وحده يمكن أن تنشيء الأمة شبابا مؤمنين عاملين على رفع مستوى البلاد ، شباباً مثقفين ثقافة قومية وطنية يعرفون كيف يخدمون الوطن . وهذا هو أقوى سلاح يمكن أن تمد به الأمة الناهضة ليساعدها على خوض غمار هذه الحياة عالية الرأس موفورة الكرامة ، وعلى نيل ما تبتغي من عز وسؤدد .

وقد يسر القراء الكرام أن يعلموا أن هناك مساعي جدية للشروع في أعمال مشتركة تقوم بها جماعات مثقفة تأخذ على عاتقها الاشتغال في ناحية خدمة الأمة عن طريق بعث الثقافة والتعليم القومي ، عن طريق بعث الثقافة العربية والاسلامية ، عن طريق تشجيع ذوي العقول النيرة والقرائح الخصبة في توجيه بحوثهم ونتاجهم في العلم والفن الى ناحيـة قومية وطنية . وقد قام جماعة في نابلس من الشباب المثقف بانشاء ناد ثقافي أطلقوا عليه اسم (النادي الثقافي) غايته هي : « إيجاد روابط وصلات بين المتعلمين ، والعمل على تأليف قلوبهم وتوحيد جهودهم العلمية والأدبيـة وتوجيهها توجيهاً قومياً ، ورفع مستوى البلد الثقافي والأدبي بطرق مختلفة عملية أهمها المحاضرات والحلقات العلمية وإيجاد مكتبة حافلة بالكتب القيمة .. » وسيجد الناس في هذا النادي وطنية عملية ستعود على البـلاد بفوائد جليلة . وكذلك هناك جماعات في نابلس والقدس ويافا وحيفا وبقية البلاد تفكر في مشروع إنشاء لجنة ترجمة وتأليف ونشر على غرار لجنة مصر . والذي نرجوه أن توفق هذه الجماعات في مشاريعها الثقافية ، وأن تأخذ بيد الأمة الى حيث التقدم والمجد ومعارج القوة والعظمة

(نابلس) قدري حافظ طوقان

كبرياء الألم

وراحة النفس فى الشكوى ولذتها
لو أمكنت ، لا تساوى ذلة الشاكى
« أسامة بن منقذ »

للأستاذ أمجد الطرابلسى

أتظلُّ تخفق فى الأضالع واهيا   ياقاب حسبك! ان ترانى شاكيا
ياذلة الباكى ! إذا أعداؤه   شمتوا بهُ ، والخِل أصبح راثيا
ياذلة الباكى ! لَجُرحى لاهِباً   أرضى لنفسىَ ياخفوق ونارِيا
اكتم لهيبك ما تقسمك الأسى   لا يرخصن بكاك جرحاً غاليا
واشمخ بأنفك فى الخطوب ولا يكن
غلف القلوب أشـــد منك تعاليا
وأتكرم الألم المخلِّد ، ولتكن   بلظى تكتمه الضلوع مباهيا
فالكون تضحكه الدموع إذا جرت !
أتظل تضحك ذا الزمانَ اللاهيا ؟
والمجد للألم الدفين على المدى   لا للذى يؤذى المسامع باكيا
والوجـد أنبله كمينٌ صامت   وأجله ما كان جُرحاً خافيا
كنز من الالهام لا تلقى له   بين الكنوز مشابهاً ومساويا
يهب الجلال لمن يطيق صيانه   والعبقرية والثناء الباقيا
يا أصدقائى النائحين تجملوا !   لا تصبحوا بين الأنام ألاهيا
تبًّا لقلب لم يذق مجد الأسى   وبِلًى لقلب لا يملّ تشاكيا
أغلوا الجراح فلن تروا مثل الجوى   للعبقرية مُنضجاً ومواتيا
إن القريض أعز مجداً من فتى   يمسى ويُصبح ضارعاً متباكيا
لا يستحق الخلد شِعر ناحب   تتقاطر العبرات منه جواريا

* * *

ياأيها الشاكى ! إلى من تشتكى ؟   أفأنت مُلفٍ فى الأنام مواسيا ؟
وإذا لقيت فإن فى إشفاقه   ورثائه ذلاً لنفسك كافيا
أم للطبيعة ماتبث وأذنها   موقورة ما إن تجيب مناديا
تشكو فتمتنق الطيور على الربى   بين الغصون ضواحكاً ولواهيا
وتنوح والأزهار تضحك خلسة   والجدول المِطراب يسخر جاريا
هل أسكنت يوماً لشاكى علة   طيراً على عرش الأزاهر شاديا
أو حطمت أغصانَها لفجيعة   أو مزقت حُللا ترف زواهيا
أوَلم تجىء هذى الطبيعة مرة   ولهان تفتقـد الحبيب النائيا
كم جئتماها قبلُ فى كنف الهوى   وقضيتما فيها ضحى وأماسيا
الزهر حولكما يرفُّ مهنئاً   والطير فوقكما تحوم شواديا
والغصن مخمور يصفق ناثراً   قُبَلاً على عطفيكما ولآليا
أودعتماها الذكريات حبيبة   تحكى أزاهرها اللطافُ ، غواليا
وكتبتما فوق الجذوع مواثقاً   ونقشتما فوق الصخور أساميا
واليوم ... ! تأتيها وحيداً شارداً   ترجو بمغناها لجرحك آسيا
فانظر إليها ! هل رعت ذمم الهوى   أوخلدت ذكراً حلوْن خواليا
سائل ! أفلست ترى لعهدك ذاكراً   وابحث فلست ترى لحبك راعيا
واجزع ! فلن تلقى لخطبك جازعا   واندب ! فلن يلقى بكاك مباليا !
ما بالها تلهو وأنت مكلّم   تتلمس الذكرى وعهداً خاليا
إن الطبيعة غادة فتانة   لا تعرف القلب الوفى الحانيا !

* * *

أحبيبى الغالى ، وأنت مخاطبى — !
هيا استشفّ من القصائد ما بيا
هذا القريض يشف عما تحته .   أتظن قلبى بعد ذلك ساليا ؟
ألهو وأضحك ليس يبصر ناظرى   ماذا تكنُّ أضالعى وفؤاديا
أتقول : لا يذكي الهيامُ قصائدى !
لولا لحاظك ما زكتْ أشـــعاريا
أقصائد يحملن آلام الهوى ! ؟   يا هونَهن ! ولو يكنّ دراريا
وأنا قصيدتك البديعة صغتُها   من فيض سِحرك أبحراً وقوافيا
وبخافقى ما لو تقسمه الورى   وسع القلوبَ على الزمان خواليا
لكننى أغلى فؤادى أن يرى   بين الأنام ـ وأنت فيه ـ داميا

(دمشق)   **أمجد الطرابلسى**

ذكرى ١٧ رمضان :

ثورة بدر

بقلم محمود حسن اسماعيل

مقتطفات منها

خَفَق العرشُ بالنشيدِ المطهرْ   فدع الشعرَ والأغانى .. وكبِّرْ!

. . . .

رجفتْ فى الجنانِ كالزعزع القصَّـــافِ تدوى بجانبىّ وتزأرْ
من فِجاجِ الغيوبِ هاجت صباحا
ثورةٌ فى الرمالِ هبّت تزمجِرْ
أقبلت كالعجاجِ فى هبوة الحرْ
بِ «قُرَيْشٌ» على الحياض تُنفِّرْ
حَشَدوا موكبَ المنايا وخفوا   لِضياء الإلهِ غاوين فجّرْ
يتراءونَ كالصـــواعِقِ فى الرمـ
ـل ووجهُ الضحى من الروعِ أغبر
كالشياطين جلجلت فى دجى اللّيـ   ـل وهاجت فى البيد تعوى وتصفر
أرزمت فوقهم سيوف، وريعت   من تناديهم أضاةٌ ومِغْفر
زلزلوا راسى الفيافى ، وراحت   مِنهم البيدُ تقشعر وتذْعَر
ومضى الشرك بينهم مزعج الهيـ   ـجة طيشانَ كاللظى المتسعِّر
جَمَّع الهول كله فى يديه   ومضى بالحمام فى الهول يزفر
إن يكن كِبرُه أجَنَّ البلايا   لنبىٍّ الاسلام . . فالله أكبر

* * *

وعلى التلِّ خاشع فى عريش   قُدُسىٌّ الظلال زاكٍ مُنوَّر
كاد من طِيبه الجريدُ المحنَّى   من ذُبول البلى يميس ويُزهر
هالة تسكُبُ الجلال ، وتندى   بوميض الهدى يُفيق ويسحر
لو رمت كاسف البصيرة أعمى   عاد منها مُبلَّج القلب أحور
باسطٌ كفّه إلى الله يدعو :   رَبِّ حُمَّ القضا لدينكَ فانصر
إن أجنادىَ البواســـل قُلٌّ   وخميس العدو كالموج يَزخَرْ
خفقة من كرى تجلّتْ عليـه   مال من طهرها الرِّداء المحبَّرْ
وإذا الوحى بارقٌ مستهلٌّ   من سماء الغيوب هَنّا وبَشّرْ
فانتضى سيْفه وهبَّ على الفا   رةِ بالسَّرْمد القوىِّ مؤزّرْ
ينفح القوم بالحصا فتدوِّى   أسلاتُ الإسلام فى كل مِنحر
وجنود السماء من كل فَجٍّ   غُيّب للعيان فى القلب حُضَّر
تشعل النار فى قلوب المذاكى   وتَوَّج الرجال ناراً تَسعَّر
قوّةٌ من جوانب العرش هبّت   ذاب من بأسها الحسام المشهّر
و «بلال» يلقى «أُميّة» غضبا   ن فيشفى الغليل منه ويثأر
أمس كم حمل الصخور الذواكى   بلهيب الرمضاء تغلى وتسعر
وهو اليوم قاذف صخرةَ المو   ت ... عليه تهوى فتردى وتقبر
وأبو جهل جندلتـــه قناة   فهوى تحت جندل البيد يزحر
وقف الكفر فوقه يندب الكفـ   ـر ويهذى على الزُّفات ويهذر
لكأنى بعظمك الآن يصطكُّ   وَيغلى من الأسى والتحسُّر
وَشـــظايا اللسان ندمانة كا   دت لنور الهدى حنيناً تكبِّر!
تمرات فى كف أعزل جوعا   ن هضيم بين الوغى متعثِّر
عربىٍّ من شـيعة الله وانٍ   عن صراع الهيجاء قهراً تأخر
حينما شاهد النبىَّ تلظّت   جمرة النصر فى حشاه المفتّر
هاج كالعاصف المدمِّر فى الجيـ   ـش وأهوى كالموت يبلى ويدحر
سلّ من روحه حُساماً وَمن إسـ   ـلامه فى مسابح الروع خِنجر
هكذا نجـــدة السماء أحالت   واهِن الجسم كالعتىِّ المدمر
فإذا النصر صيحة هزت الدنيـــا وراعت بروج كسرى وقيصر
وإذا «بدر» خفقة فى لسان الشــرق يزهى على صداها ويفخر

محمود حسن اسماعيل

القصص

قصة واقعية

الغـــريب ...

« نالت هذه القصة جائزة قدرها ١٠٠ جنيه فى مسابقة للقصص الواقعية فى مجلة «True Story» الانجليزية »

نقلها عن الانجليزية
أحمد فتحى مرسى

لا أعلم ما الذى جعلنى أشعر بالخوف والوحدة بعد أن امتطى فرانك صهوة جواده ومضى فى سبيله ظهر أحد أيام الأحد ... لقد كان علىّ أن أمكث مع طفلى العزيزين أياما وأياما وحيدين فى مزرعتنا بين تلك المروج الواسعة ، لم يساورنى خلالها مثل ما ساورنى ذلك اليوم . . ربما كانت الوحدة تخيف بعض النساء ؛ بيد أننى قضيت فى هذه الجهة ما يقرب من عامين بعيدة عن العالم منفردة عن المجتمع ، فضلاً عن أننى نلت قسطا من التعليم جعلنى أنبذ ما تدعيه النساء من خرافات وأباطيل ... كان هناك ما يقرب من العشرين ميلا بيننا وبين أقرب جار لنا ؛ ولقد كان فى تناثر المزارع على هذا الشكل مغنم للصوص ورجال العصابات ، فكان الانسان يقضى أياما طوالا دون أن يرى فى هذه الناحية وجها لانسان ، اللهم إلا أحد رعاة البقر يبحث عن قطيعه الممزق ويجمع أشتات ماشيته المتفرقة ، ولكنى كثيرا ما قضيت مع فرانك الشهور الطويلة دون أن يقع بصرنا على إنسان ما

***

ولقد كانت مصاحبة طفلى العزيزين تجعلنى سعيدة قريرة العين . وكان أكبرهما فى الثانية من عمره ويدعى بوبى ؛ وأما ڤيل الصغير فقد كان عمره لا يزيد على بضعة أشهر ، ولكنه برغم ذلك كان طفلا هادئا مريحا

ولقد يتساءل البعض : لماذا اخترنا هذه البقعة الموحشة لنقضى فيها ميعة صبانا وزهرة شبابنا ؟ فأجيب : منذ حوالى أربع سنوات عند ما تزوجت من فرانك ، كان يشغل منصباً فى أحد البنوك فى مدينة ولتون ڤيل على مسير خمسة وثلاثين ميلا من مزرعتنا ؛ وكان قد اقتصد قليلا من المال مدة اشتغاله فى المصرف . ولم يلبث فرانك طويلا فى المصرف بعد زواجنا ، فقد أصبح المصرف فى غنى عن عمله لضيق أعماله ، فأخذ يبحث عن عمل ولكن دون جدوى ... وأخيرا وجدنا أنفسنا وليس معنا إلا قليل مما اقتصدناه . وكان فرانك قد درس هذه المنطقة ملياً مدة اشتغاله فى المصرف ، وكانت تحوى الكثير من المزارع التى تصلح لتربية الماشية وزراعة بعض الحاصلات الصيفية

وفى ركن قصىّ من تلك الأصقاع كانت تقع مزرعة جميلة فيها منزل ريفى بديع الموقع بسيط التأثيث ، وبها بئر طيبة المورد عذبة الماء ، وحول المنزل قطعة مسورة من الأرض يخيل إلى أنها كانت حديقة فيما مضى . وأخذنا الفرح بهذه المزرعة ، فاشتريناها وبدأنا عملنا فيها

وكان كلانا فى صحوة شبابه وربيع حياته يتمتع بصحة جيدة وبنية قوية . وكان فرانك لا يعرف الكثير من أحوال المزارع وإدارتها فلازمنا الفشل فى أول الأمر - شأن كل من يبدأ عملا لم يمارسه من قبل - ولكن أدركتنا عناية الله فذللنا كل ما قابلنا من العقبات

ولد لنا (بوبى) فى مدينة ولتون ڤيل ، وأما (ڤيل) فقد ولد فى مزرعة مرى وذر على بعد عشرين ميلا منا . ولقد كانت السيدة مرى وذر نعم الأم الحنون البرة مدة إقامتى عندها

***

ومضت الأيام تتبع الأيام والشهور تقفو أثر الشهور ، ونحن سعيدان بهذه الحياة الهادئة على رغم بعدنا عن العالم وانفرادنا عن المجتمع ، إلى أن كان يوم زارنا فيه جار لنا يدعى جيبون ، يطلب مساعدة فرانك فى إصلاح قطعة من الأرض اشتراها أخيرا . فلما اعتذر

له فرانك بأنه ليس لديه جواد ، فضلا عن أنه لديه من الأعمال ما يشغله عن ممارسة غيرها ، قال غاضباً :

— هذا شيء لا يحتمل ! من أين لى أن أجد رجلا آخر فى هذه الناحية المقفرة ؟ سأعطيك كل ما تطلب من الأجر نظير ترك أعمالك ، فضلا عن أنى سأعوضك جواداً خيرا من جوادك

وبعد نقاش طويل قبل فرانك ما عرضه عليه الجار على أن يدعه يعود إلى المزرعة فى أيام السبت والأحد لانجاز أعماله الهامة .

وعلى هذا أصبحت أقضى جل الأسبوع وحيدة إلا من طفلين لا يستطيع أكبرهما أن ينطق . ولكنى كنت أعزى نفسى بأن العمل يستغرق أسابيع يعود بعدها فرانك ومعه المال والجواد

***

ولا أكون مبالغة إذا قلت إننا لم نشعر فى حياتنا بسرور قدر ما شعرنا به تلك الليلة عند ما عاد فرانك للمرة الأولى يحمل أجرة الأسبوع الأول ، فقد خيل الينا أننا فى حلم عندما نثر النقود على المائدة ؛ وليس هذا عجيباً ، فقد كان كلانا لم ير النقود من زمن غير قليل . قال فرانك :

— أظن أنه ليس فى الامكان السفر إلى ولتون ڤيل لايداعها فى المصرف قبل أن أنتهى من مساعدة جيبون ، وستكون هنا فى مأمن . فقلت :

— إذن دعنا نخبئها فى مكان ما

— حسن ! ثم وضع النقود فى كيس صغير وأعطاها إياى قائلاً :

— ضعيها تحت وعاء الدقيق يا عزيزتى ... فاذا داخلك الشك يوماً فى أحد يحوم حول هذا المكان فاحفرى لها فى الأرض

وفى مساء الجمعة التالية زاد قدر ما عندنا من النقود بما أضافه اليها فرانك من أجره الثانى

***

وفى صبيحة السبت نهض فرانك مبكراً وأخذ يعمل فى المزرعة بجد ونشاط — كعادته فى سائر أيام السبت والأحد — حتى إذا كان ظهر الأحد خرج ليسرج جواده ويمضى إلى عمله عند جيبون ... ولسبب ما داخلنى شعور غريب هذه المرة ، فقد كنت أريد من أعماق نفسى ألا يذهب وألا يتركنى هذه المرة . ولما ضمنى ليودعنى لم أجد ما أقوله له غير هذه الكلمات :

« لا تذهب يا فرانك ... لا تتركنى هذه المرة يا عزيزى » والحقيقة أننى كنت أشعر بشعور خفى ، وبدافع من صميم قلبى يدفعنى إلى استبقائه بجانبى . ولكنه ابتسم قائلاً :

— تشجعى يا عزيزتى ... سأعود قريباً

ثم انطلق الجواد كالسهم وأنا واقفة أتابعه بنظرى وهو يختفى فى ظلام من الغبار

***

استيقظت فى الرابعة من فجر اليوم التالى ، لأنه كان يروق لى أن أنجز أعمالى فى الصباح الباكر قبل أن يشتد وهج الشمس فى سماء الصيف الصافية ويحمرُّ قيظها ، فأخرجت الماشية من حظائرها وأوقدت النيران فى الموقد ، ثم عدت إلى المنزل لأغذى الأطفال ، وألقيت وأنا أصعد الدرج نظرة خاطفة على الطريق الذى مضى فيه فرانك أمس . ولشد ما كانت دهشتى عند ما أبصرت من بعيد شبحاً سائراً على قدميه يقترب رويداً رويداً من المزرعة ؛ وقد عجبت من ذلك أشد العجب ، فهذه أول مرة أرى فيها شخصاً يجوب هذى السهول المترامية سيراً على الأقدام . أسرعت إلى المنزل ووقفت فى النافذة وأنا أفكر فيمن يكون ذلك الشخص وما مأربه ؟ أهو صاحب مزرعة من اللواتى حولنا يطلب مساعدة ؟ ولكن هذا لا يمكن ، فكل منهم يملك جوادا على الأقل إن لم يكن يملك مركبة . إذن فهذا الرجل غريب عن الناحية

ولكن لماذا يأتى الغريب إلى هنا ؟ ربما ضل الطريق وأخطأ الجهة التى يقصدها ! ولكنه لا يمكن أن يصل الى هذه الجهة المنفردة دون أن يدرك أنه أخطأ الطريق ... كل هذه الأفكار كانت تساورنى وأنا واقفة فى النافذة أرقب الرجل وهو يقترب :

— ترى ماذا يفعل ذلك الرجل لو علم أنى وحيدة فى ذلك المنزل ؟ وماذا يفعل لو عرف شيئاً عن النقود ؟

وأخيراً قلت لنفسى : « حسن . ما دام فرانك أخذ دوره وعمل بجد حتى حصل على هذه النقود ، يجب أن آخذ دورى فى الدفاع عنها » وأسرعت إلى «مسدسى» وكان محشوا ، وأيقظت الأطفال حتى لا يزعجهم إطلاق النار . وكان الرجل قد وقف على بعد خمسين خطوة من المنزل يقلب الطرف فى الحديقة والدار ؛ وبدا لى وجهه مخيفاً مرعباً وملابسه قديمة رثة . على أنه لم يدهشنى قط عندما أخرج مسدسه من جيبه ومشى صوب الباب لأنى

كنت أتوقع ذلك بين لحظة وأخرى .... انتظرت حتى أصبح على بعد خطوات من الباب ثم دفعت الباب بقدمى فأصبحت أمامه وجهاً لوجه

***

— مكانك وإلا ألهبت رأسك !

فوقف الرجل مبهوتاً ، ثم أردفت على عجل :

— والآن ماذا تريد ؟

— سيدتى ! ما أنا إلا رجل فقير جائع ؛ أريد قطعة من الخبز أسد بها رمق ، أو أى عمل عندكم أعيش منه ... ثم تابع كلامه وقد رأى الشك فى عينى :

— إننى أمين يا سيدتى ؛ لا تسيئى بى الظن

— شكراً لك ! إن زوجى قد قام بكل الأعمال ، وليس لدى ما أعطيك إياه

— لقد قضيت يا سيدتى يومين سائراً . يعلم الله أنى لم أذق فى خلالهما شيئاً قط ....

وأيقنت من نبراته أنه صادق فى كلامه برغم ما داخلنى فيه من شك . وقد رأيت أن من الغباء أن أدعه يعمل عندنا ونحن لا نعرف أصله ، ولكنى لم أعدم شيئاً من العطف على رجل لم يذق الطعام من يومين ؛ فقلت له وأنا ما أزال قابضة على المسدس :

— إن ورائى على المائدة وعاء من اللبن وقطعتين من الخبز خذهما وامض فى سبيلك .. فنظر لحظة إلى المسدس قبل أن يجد فى نفسه الجرأة الكافية على الدخول ، ثم جمع أشتات نفسه ودخل وحمل الطعام ثم خرج متمتما بكلمات الشكر

ومضيت فى عملى فنسيت ذلك الحادث . وكانت الشمس قد ارتفعت فى السماء . فجلست مع بوبى لنتناول الفطور فى هدوء وصمت . وفجأة تذكرت أننى لم أجمع بيض الدجاج هذا الصباح ، وكانت عادتى أن أجمعه فى الصباح الباكر قبل أن تعبث به زواحف القفر . فلما بلغت آخر مجاثم الدجاج طرق سمعى فحيح حاد صادر من الحطب الهشيم الملقى على جوانب المجثم ، فعرفت الصوت لساعته وإن كنت لم أسمعه فى هذه الجهة من قبل ، فهلع قلبى وأسرعت بالعودة ، إلا أننى لم أكد أدير وجهى حتى شعرت باللدغة فى قدمى اليمنى

لقد كانت عضة أفعى سوداء كبيرة . وقد جمدت فى مكانى لمجرد ذكرها قبل أن تلمحها عيناى المضطربتان وهى تزحف بين الهشيم

وأخيراً بلغت المنزل أجر قدمى ورائى وأنا ألهث من التعب ، ومزقت الحذاء سريعاً فبدا أثر النابين عميقاً ظاهراً ، وكنت أجهل تماماً ما سأفعل وأنا على قاب قوسين من الموت ... فجعلت أجهد ذاكرتى حتى أصل إلى ما قاله لى فرانك عن علاج مثل هذه الحالة . وأخيرا وجدت ضالتى المنشودة . لقد قال لى : يجب أن تربط الرجل من فوق اللدغة بقليل حتى لا يسرى السم مع الدماء ، ثم تعالج الاصابة « ببرمنجانات البوتاس » ... وسرعان ما مزقت قطعة من القماش من غطاء المائدة وربطت بها الرجل من فوق اللدغة بقليل ثم قمت أبحث عن الدواء

ولكنى تذكرت فجأة أنه لم يبق عندنا منه شىء ، فقد استنفدته عن آخره فى تطبيب الدجاج فى الربيع الماضى ونسيت أن أطلب من فرانك أن يشترى بدله

عدت إلى المقعد فى ذهول وأغمضت عينى وجعلت أفكر ولكن دون جدوى .... كل ذلك والسم آخذ طريقه فى قدمى حتى تصلبت عضلاتها .... ماذا أفعل وأنا وحيدة مع طفلين وهناك عشرات الأميال بينى وبين أقرب نجدة ؟ وإذا قدر لى الموت فما مصير الطفلين البريئين ؟ كانت قدمى تؤلمنى ألماً مبرحاً ولا أعلم إن كان ذلك من السم أم من شدة الرباط ؟

لم يكن أمامى ثمة شىء ينقذ حياتى وحياة الأطفال إلا أن أحاول أن أذهب معهم إلى (مرى وذر) . فربما أتمكن من إدراكها قبل فوات الوقت إذا تركت للجواد العنان ... فقمت أتحامل على نفسى وعلى الحائط ؛ ولكن قبل أن أدرك الباب تذكرت شيئاً آخر جعلنى أكاد أسقط على الأرض ... لقد أخذ فرانك الجواد ولسنا نملك غيره . شعرت بأن الدم يكاد يفيض من وجهى ، وأنا أعود إلى المقعد فى ذهول ... أأصحب الطفلين وأمضى سائرة على الأقدام ؟ ولكن هذا معناه ساعات وساعات دون أن نصل الى وجهتنا ... قمت ثانية لأحمل (فيل) ولكنى عدت فتذكرت أن قدمى بوبى الصغيرتين لا تحتملان السير أكثر من ميل أو ميل ونصف ... إذن سأضطر الى حمل الطفلين فى الطريق ، وسأبذل من الجهد ما يجعل الدم ينشط والسم يسرى فتكون النهاية المحتمة الأليمة : طفلان فى القفر فى يد القدر بجانب أم ميتة

يا إلهى ! ماذا أفعل وهذا الموت المحقق يسير فى عروقى ، وعن قريب أصير فى عداد الأموات ... ولكن الطفلان

ما مصيرها ؟ الموت دون شك .. وإذا كان لا بد من الموت فلم لا أسرع حتى أخلص من عذاب النفس الممض وعذاب الجسم المبرح ؟ ... لم لا أسرع بالقضاء على نفسى وعلى الطفلين حتى نستريح جميعاً ؟ . . . خففت قليلاً من وطأة الرباط فلم تعد ترجى منه فائدة ، وتناولت قلماً وورقة من المكتب ثم جلست أكتب لفرانك ظهر الاثنين :

عزيزى فرانك :

لقد لدغتنى أفعى سامة كبيرة ..ولم أجد لها علاجاً ناجعاً ولا يمكننى أن أعيش أكثر من بضع ساعات . أما الطفلان فلا أظنهما يلبثان على قيد الحياة الى حين حضورك . لذلك سأفعل الأمر الوحيد الذى يمكننى أن أفعله فى هذه الحالة فأريح نفسى والطفلين من العذاب الأليم . وأتمنى لك حياة طويلة سعيدة م؟

عزيزتك

روز مارى

ووضعت الورقة على المائدة ثم تناولت المسدس ، واقتربت من طفلى ڤيل وكان مستغرقاً فى نومه فركعت بجانبه ثم طبعت على جبينه قبلة حارة وصوبت «المسدس» الى رأسه بيد مرتعشة ، ثم أغمضت عينى لأطلق النار . . . .

— بحق السماء ماذا تفعلين ياسيدتى . . . ؟

اضطرب « المسدس » فى يدى وتلفت إلى مصدر الصوت فى جزع فاذا الرجل الغريب الذى رأيته فى الصباح واقفاً بالباب ينظر الىّ تارة والى المسدس أخرى . . ثم تقدم أخيراً فقبض على المسدس من يدى وألقاه على المائدة ، ثم تابع كلامه قائلاً — أتقدمين على قتل هذا الطفل البرىء ؟

— نعم أقدم على ذلك

— أمجنونة أنت ؟

— كلا . . . لقد لدغتنى أفعى سوداء سامة وأدركت أن الموت من نصيبى وأيقنت أن الطفل سيموت جوعاً ففضلت أن نموت سويا

— أفعى سوداء ! قالها وتقدم الىّ فى سرعة فرفعنى من مكانى وأضجعنى على المقعد ثم أخرج من جيبه سكيناً حاداً رسم بها دائرة حول أثر النابين ، ثم أخذ يضغط الجرح بشدة حتى سالت الدماء وفاضت على جوانبه . . . ثم نهض مسرعاً وجذب قضيباً من الحديد كان ملقى على المائدة ، ثم سأل :

— أين الموقد ؟

— وراءك الى اليمين . فأسرع إليه ووضع القضيب فى النار الى أن احمر طرفه ثم عاد الىّ قائلاً :

— يعز علىّ أن أفعل ما أنا مقدم عليه ، ولكن هذا هو العلاج الوحيد . ولما انتهى من كىّ الجرح أحضر لى جرعة من الماء . ثم تبع ذلك صمت طويل قطعه أخيراً بقوله :

— لقد توسمت فيك الشجاعة هذا الصباح يا سيدتى . وقد رأيتها الآن رأى العين ؛ وأظن أنك ستشعرين بألم مبرح بضعة أيام يزول بعدها كل شىء . ورانت على الغرفة فترة أخرى من الصمت ثم قال أخيراً فى هدوء وتؤدة :

— لا يمكننى على ما أظن أن أمضى وأتركك على ما أنت عليه. . . ثم أردف باسماً :

— إنه ليبدو عجباً أن أحضر الى هنا رغبة فى الاستيلاء على أموال زوجك وقتلك إذا دعت الحال ، فاذا بى أساعدك وأسهر عليك وأعنى بمرضك كما لو كنت صديقاً حميا !

***

وأظن أن آخر شىء يمكننى أن أذكره قبل أن يأخذنى الاغماء هو صورة الغريب فى يده وعاء اللبن وهو ذاهب لحلب البقرة وبوبى يقفز حوله فى سرور . أما ڤيل فقد كان مستغرقاً فى سباته ، وكانت الشمس قد آذنت بالغروب . . . ثم أظلم المكان فى عينىّ ولم أشعر بما يجرى حولى ، اللهم إلا أشباحاً تتراقص ، وأيدياً تلوّح ، وأصواتاً تدوى . . .

حينما أفقت من الاغماء كان الوقت ظهراً والسجف مرخاة على النوافذ والغرفة خالية إلا منى ومن بوبى الذى كان جالساً يأكل فى أحد الأركان فى سرور جعلنى أشعر بمثله

— أظنك تشعرين الآن ببعض التحسن يا سيدتى . . . كان ذلك صوت الرجل الغريب ، فتلفت فاذا به واقف بجانب السرير ينظر الى فى حنان وعطف . فسألته :

— فى أى يوم نحن الآن ؟

— الأربعاء يا سيدتى

***

وفى مساء الجمعة وكان قد ثاب الى بعض صحتى ونشاطى ؛ وكان بوبى وڤيل قد أخذتهما سنة من النوم ، قال لى الغريب :

— فى أى وقت تتوقعين حضور زوجك يا سيدتى ؟

— إنه يصل عادة بعد التاسعة بقليل

— إذن يجب علىّ أن أذهب ، ولكنى لن أتركك حتى أسمع وقع حوافر جواده

— ولكن لماذا ؟ قد يرغب فرانك فى رؤيتك ليقول لك شيئاً

— شكراً ، إنى أعلم ما سيقوله لى

— إذن دعنى أمنحك قليلاً من المال ، وإنه لشئ تافه بجانب ما تكبدته لانقاذى وإنقاذ الطفلين . . ثم قمت لأحضر النقود ، ولكنه اعترض سبيلى قائلاً :

— أرجوك الجلوس يا سيدتى — لقد كانت النقود فى متناول يدى طول أيام الأسبوع ، ولكنى لم أمسها ولن أمسها . . . ! ثم خيم على الغرفة صمت طويل قطعه أخيراً وقع حوافر جواد قادم فى الطريق ، فقام الرجل وسار نحو الباب فى خطوات متزنة ثم اختفى بين طيات الظلام

***

قصصت على فرانك القصة فما انتهيت منها حتى ابتدر الباب باحثاً عن الرجل ، ولكنى استوقفته وأخبرته أن من العسير أن يعثر عليه فى هذا الظلام الحالك ، فرجع آسفاً . ومنذ ذلك الحين ونحن نتمنى لو تتاح لنا فرصة نشكر فيها ذلك الغريب ونوليه أضعاف جميله ما ؟

أحمد فتحى مرسى

البريد الأدبي

قانون جديد للصحافة في فرنسا

صدر أخيراً قانون جديد للصحافة في فرنسا يرمى إلى وضع حد لذلك الاغراق التى انتهت اليه بعض الصحف المتطرفة فى شأن الأنباء الكاذبة والمقالات القاذفة ؛ وكان صدوره على أثر انتحار المسيو سالنجرو وزير الداخلية الذى لبث مدى أشهر هدفاً لحملات بعض الصحف المتطرفة مثل «جرينجوار» و «لا كسيون فرانسيز» ، فقد استمرت هذه الصحف تنشر عنه وعن ماضيه كثيراً من الأخبار والمطاعن المثيرة ، وتطعن فى وطنيته ونزاهته وإخلاصه لوطنه . ومع أن اللجنة الخاصة التى ألفت لبحث ماضى المسيو سالنجرو قد انتهت بتقرير بطلان هذه التهم جميعها ، ومع أن البرلمان ذاته قد انتهى بتبرئته وإعلان تقديره لوطنيته ، فأن هذه الصحف القاذفة لم تنقطع عن مطاردته حتى سقط صريعاً فى الميدان . فبادرت الحكومة باستصدار القانون الجديد ، وهو يرمى إلى أغراض ثلاثة : الأول قمع الأخبار الكاذبة ؛ والثانى منع المطاعن والحملات القاذفة ؛ والثالث وضع رقابة فعلية على المصادر المالية للصحف ، نظراً لما ثبت من أن كثيرا من الصحف تندفع بتأثير ما تتناوله من الاعانات المالية إلى إثارة الخصومات السياسية والمطاعن الشخصية دون اكتراث للنتائج والشخصيات . وبناء عليه يجب أن تقوم الصحف من الآن فصاعدا فى شكل شركات مساهمة ، وأن يعتبر مديروها كما يعتبر محرروها مسؤولين عما يظهر فى الجريدة

وقد كانت الحملات الصحفية القاذفة تعرقل كثيرا من أعمال الحكومات ، وكانت الحكومات المختلفة تفكر فى إصدار مثل هذا القانون منذ زمن طويل ، ولكنها تتراجع دائماً ، حتى جاءت الحكومة الاشتراكية ووقعت حادثة مسيو سالنجرو . ومن الغريب أن تكون الحكومة الاشتراكية هى التى اضطلعت بأصدار مثل هذا القانون المقيد للحرية ، ولكنها فى الواقع أصدرته لحاجة ماسة . ذلك أن الاسراف فى نشر الأنباء الكاذبة والحملات القاذفة قد وصل الى حدود لا يمكن احتمالها ، وكثرت الصحف القاذفة التى تعيش من الطعن فى الأشخاص والجماعات ؛ والقذف معاقب عليه فى القانون الفرنسى دائماً ، ولكن القانون الجديد يعتبر القذف واقعاً فى جميع الأحوال إذا كان يمس الهيئات الرسمية أو الأشخاص الذين تشير اليهم المادة ٣٥ من قانون سنة ١٨٨١ ؛ وقد نص فى القانون الجديد على تقصير الاجراءات حتى يقع العقاب المنشود بالقاذفين بسرعة ، ونص فيه على عقوبات مالية فادحة إلى جانب العقوبات المقيدة للحرية وما نص عليه من تعطيل الصحيفة . وقد أثيرت حول القانون الجديد اعتراضات كثيرة أهمها أنه لا يمكن إجراء الرقابة المالية المنشودة دون الاضرار بكثير من الصحف النزيهة المخلصة وعرقلة تقدمها ، وإنه يخشى أن تعمد الهيئات التى تستتر وراء الصحف القاذفة الى تزويدها برجال من قش يحكم عليهم دون أن ينال هذه الهيئات شيئاً ودون أن تقطع معونتها عن الصحيفة المحكوم عليها . ثم إنهم يخشون جداً من عدم استقلال القضاء الفرنسى وميله مع الاتجاهات السياسية . بيد أن الحكومة الاشتراكية تتمتع فى إصدار هذا القانون بكثرة من كل أولئك الذين يقدرون قيمة النزاهة والاخلاص والتعفف عن المطاعن القاذفة فى صناعة القلم التى يجب أن ترتفع عن الاستغلال فى الخصومات الدنيئة

كارل فون أوستيسكي أيضاً

بسطنا فى العدد الماضى قصة كارل فون أوستيسكى الكاتب الألمانى الكبير الذى فاز بجائزة نوبل للسلام عن سنة ١٩٣٥ ، والذى اعتبرت الحكومة الألمانية فوزه بهذا الشرف تحدياً لها لأنها تعتبره خائناً ، لما كان يكتبه من مقالات فى الدعوة إلى السلام ونزع السلاح ؛ وقد أرادت أن تعتقله منذ سنة ١٩٣٣ ، ولكنها اضطرت إزاء اشتداد العطف الدولى عليه أن تطلق

سراحه ، فغادر المستشفى مريضاً منهوكا حيث يعالج الآن . وقد اطلعنا أخيراً فى جريدة « بازلر ناخرختن » السويسرية على حديث جرى لمكاتبها البرليني مع هذا الكاتب الشهير بأذن السلطات الألمانية ، خلاصته أن فون أوستيسكى حينما نقل إليه خبر فوزه أبرق إلى الأكاديمية السويدية بقبول الجائزة ، وبأنه سيأتى بنفسه إلى استوكهلم ليلقى خطبة القبول ؛ بيد أنه سيحاول جهد استطاعته أن يكون واسطة لتحسين العلائق بين ألمانيا والسويد . ويصرح فون أوستيسكى بأنه ما زال على عقيدته السلمية يدعو إلى تفاهم الأمم ، وأن الدعوة إلى السلم إنما هى فى مصلحة وطنه ، وأنها تتجه إلى جميع الأمم التى تبالغ فى التسليح مثل روسيا السوفيتية ؛ وأنه حين يغادر ألمانيا لن يعود إليها بعد . على أنه لا يريد قط أن يكون فوزه بجائزة السلام مدعاة لمظاهرة سياسية ؛ وأنه يأسف كل الأسف إذ كان فوزه بهذه الجائزة مثاراً للمناقشة بين السويد وألمانيا . ويأسف بنوع خاص لأنه كان موضع حملة من الشاعر النرويجى الكبير كنود هامبسون

والظاهر أن الحكومة الألمانية قد اقتنعت أخيراً باطلاق سراح الكاتب الكبير نهائياً ، ورأت أن ليس فى صالحها أن يطول أمد اعتقاله ؛ وقد كان الكاتب عند وطنيته وإخلاصه لوطنه على رغم ما لحقه من صنوف الأذى طيلة هذه الأعوام

نقل الآداب الأوربية الى الأدب العربى

ذكرنا من قبل فى إحدى افتتاحيات (الرسالة) أن لجنة التأليف والترجمة والنشر قد أعدت مشروعا لنقل الآداب الغربية الى الأدب العربى ؛ ويسرنا أن نذكر اليوم أن وزارة المعارف العمومية قابلت هذا المشروع بما يستحقه من التقدير والعناية ، فقررت أن تساعد اللجنة على تحقيقه بخمسمائة جنيه فى ميزانية هذا العام ، تزيدها إلى ألف جنيه فى ميزانية العام المقبل (على أن يشرف على هذا المشروع لجنة من حضرات الأساتذة الدكتور طه حسين ومصطفى عبد الرازق وأحمد أمين مع الاستعانة بالعناصر الأجنبية للارشاد عن خير المنتجات الأوربية فى اللغات الثلاث : الانجليزية والفرنسية والألمانية) . وبعد عطلة العيد ستجتمع اللجنة لتنتخب الأساتذة الذين يناط بهم تنفيذ هذا العمل الخطير تمهيداً للسير فيه

وفاة لويجى بيراندللو

توفى فى صباح يوم الخميس الماضى الكاتب الايطالى لويجى بيراندللو على أثر إصابته بالتهاب الرئة . وهو زعيم الأدب المسرحى فى إيطاليا من غير منازع ، وصاحب المذهب الفنى المعروف بمذهب الفكاهة humorisme أو Pirandillisme نسبة إليه .

وقد ولد فى أجريجانتى بجزيرة صقلية فى سنة ١٨٦٧ ودرس الأدب فى روما ثم سافر إلى ألمانيا لحصل على الدكتوراه فى الآداب من جامعة (بُن) . ولما رجع إلى بلاده عين أستاذاً فى المدرسة العليا للبنات فظل فيها من عام ١٨٩٧ إلى عام ١٩٢١ ، وكان فى خلال ذلك يؤلف القصص والروايات وينشرها حتى بلغ إنتاجه أربعمائة أقصوصة وعشر قصص وثلاثين رواية . وفى سنة ١٩٣٤ نال جائزة نوبل للآداب ، وبهذه المناسبة نشرت « الرسالة » عنه فصلاً تحليلياً ضافياً فى عددها الرابع والسبعين فارجع اليه إن شئت المزيد

كلمة حول زارا وتحقيق نسبته

كتاب « زارا تسترا » للفيلسوف الشاعر الألمانى « فردريك نيتشه » الذى تنشر ترجمته (الرسالة) من المؤلفات الذائعة الصيت فى عالم الثقافة الغربية ، ويُعَدُّ هذا الكتاب بل « الديوان » أعظم أثر شعرى فى العصر الحديث . وقد قيل فيه إنه لم ينتج شاعر فى العصر الحديث أثراً يضارع ماحوته دفتا هذا الكتاب ! وحسبك أن تعلم أن الموسيقى الألمانى الشهير « ريشارد شتراوس » قد لحنه موسيقياً

وبلغ من تأثير هذا الكتاب أن عُدَّ مسؤولا إلى حد كبير عن إذكاء تلك الروح التى حفزت الشباب الألمانى ودفعته إلى خوض غمار الحرب الكبرى ، ولم يقتصر أثر هذا الكتاب على كثير من عقول مفكرى الغرب ، بل تناول كثيرين من مفكرى الشرق . فالشاعر الهندى الفيلسوف محمد إقبال قد تأثر به إلى حد كبير تحسه فى كتبه « أسرار الذاتية[1] » و « أسرار اللاذاتية » . . . وما دعوة الجهاد الاسلامى التى يريد إحياءها « إقبال » ولا يفتأ يرددها ويدعو اليها إلا أثر من آراء نيتشه وفلسفته فى تمجيد القوة والدعوة إلى « السوبرمان »

وجبران خليل جبران الشاعر اللبنانى ينهج فى كتابه « النبى »

(١) راجع الرأى فى الطبعة الانجليزية

الكتب

كتاب باب القمر

تأليف الأستاذ ابراهيم رمزي

بقلم الأستاذ محمد فريد أبو حديد

ماذا أسميه ؟ أأسميه قصة ؟ إننى إن فعلت فإن أعدو الحقيقة إذ هو فى الواقع قصة فيها ما فى القصص عادة من مداخل الخيال وطلاوته . ففيها لمياء ابنة الحارث بن كلدة ، تلك الصورة الحية الناطقة التى لا يسع قارىء القصة إلا أن يتمثلها ويحس ما تحسه من أشجان . فتاة عربيـة رومية تجمع ثقافة الاغريق وصفاء نفس العرب ، وتتمثل فيها فضائل المدنية وفضائل البداوة جنباً الى جنب . وفيها ورقة ابن المغيفة ، ذلك الفتى العربى النبيل الذى يتقلب فى بلاد العرب وفيما حولها حتى ينتهى به التجوال الى الاسكندرية فيصبح فيها أمين الحاكم وكبير حراسه . وهذان هما الشخصان اللذان قد حيكت حولهما حوادث القصة على ما ألف الناس فى القصص من دوافع العواطف الشريفة وخوالج النفوس المضطرمة ؛ على أننى لا أملك إلا أن أعقب على هذا القول لأحدد منه . فان هذا الكتاب ليس على ما يفهم من القصة المحض ، فان المؤلف قد جمل الى سداه القصصى لحمة من التاريخ المصفى الذى لا يخطىء القارىء إذا اعتمد عليه ووثق من حقائقه ، فهو يصور حال بلاد العرب فى أول أيام البعثة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى السلام ، فابتدأ فى نجران وصور ما كانت عليه حال تلك المدينة القديمة ومكان الأسقف المسيحى منها ؛ ثم هبط اليمن مع قوافل التجار التى تيمم الشمال فى رحلاتها المنتظمة حتى بلغ معها بلاد الحجاز فصور مكان النبى عليه الصلاة والسلام فى أوائل سنى البعثة وصور صحابته تصويراً لا أظن ريشة المصور تبدع خيراً منه ، كما صور أعداءه وشتى وسائل عداوتهم له الى حصارهم إياه فى الشعب على ما هو معروف فى كتب السيرة ؛ وعبر بعد ذلك الى الشام فعرض صورة لدولة الروم وهى تناضل الفرس

نهجاً يشابه طريقة الفيلسوف الألمانى ، وهو إن خالفه فى الروح والمبادىء فانه يشابهه فى الأسلوب وطريقة الأداء التى يتميز بها كتاب « زارا تسترا » ، وقد تبوأ هذا الكتاب مكانه فى التفكير الغربى كأنجيل جديد يبشر بمذهب جديد فى الحياة وغايتها على الأرض ، مذهب هو أقرب الى الدعوات الدينية منه الى المذاهب الفكرية الفلسفية

وقد دعانى الى كتابة هذه الكلمة ما رأيته من خلاف فى نسبة « زارا » . على أن كل المصادر مجمعة على نسبته الى Zoroaster ، ولكن الخلاف هو فى تفسير Zoroastre هذا ؛ فالمستر « Rhys » فى مقدمة الترجمة الانجليزية طبعة (Everymein's Libray) يشير الى أنه زرادشت صاحب الديانة الفارسية القديمة ، وهكذا أيضاً تفسره دائرة المعارف الفرنسية « La Grande » ، وأما دائرة المعارف البريطانية فلم أجد بها ما يفسره

على أنه توجد طبعة لترجمة إنجليزية أخرى بدار الكتب المصرية بالقاهرة تفسر هذا الاسم بأنه لأحد آلهة الاغريق القدماء يدعى Zoroaster ؛ ولست أدرى المصدر الذى استقى منه محرر مقدمة هذه الطبعة . على أن هذا الرأى كفيل بأن يسترعى منا كل عناية واعتبار ، لأنه من المعلوم أن نيتشه كان متضلعاً فى الثقافة الاغريقية ؛ ثم إنه يدين للاغريق بكثير من إنتاجه وفلسفته ؛ وتأثره بآلهة الاغريق عميق ولاسيما الآله ديونيزوس Dionysus إله الخمر ، وقد أسهب فى هذه النقطة البروفسور ليشتنبرجر Leachetenberger فى كتابه عن نيتشه المسمى « إنجيل السوبرمان » The Gospel of Superman

فلا نستبعد أن يكون نيتشه قد نسب بطل كتابه الى هذا الآله الاغريقى القديم اعترافاً منه بفضل الثقافة الاغريقية وتمجيداً لها . وهذا موضوع من الفائدة بمكان لو تبارت فيه عقول المحققين لتجلو غامضه وتظهر حقيقته ؛ وإنه لخليق بمجلة البحث والفكر « الرسالة » الغراء .

(المنصورة) محمد فهمى

ذلك النضال الهائل الذي غلبت فيه في أدنى الأرض ، وعرض بعدها صورة ثانية لمصر والاسكندرية وبين ما كان فيها من اضطراب وأحزاب الى أن دخلتها جيوش فارس بتدبير بعض الخونة مثل بطرس البحريني المنافق

فصور القصة قد تدخلت فيها صور التاريخ تدخلا عجيبا كان من أثره أن جليت للعصر صفحة واضحة يكاد قارئها يحس أنه يحيا بين أهله ويتنفس في جوهم

ولست بمستطيع في هذه الكلمة الموجزة أن أذكر كل من جلاهم ذلك الكتاب القيم من شخصيات التاريخ ، فانك لا تكاد تجد اسما من الأسماء المعروفة في هذه الفترة لم يبرزه في ناحية منه ويُصور له صورة حية ؛ ولكن شخصيتين من هذه الشخصيات كانتا مثلاً عالياً في التصوير الأدبي ؛ ولعل المؤلف النابه قد قصد منهما أن يكونا رمزين للحزبين المتناضلين : حزب الرسول وحزب قريش ، ألا وهما حمزة بن عبد المطلب رمز المسلمين ، والنضر بن الحارث الطبيب رمز المكذبين من قريش . وأما أشخاص غير العرب فقد أبدع في تصوير بعضهم إبداعا عظيما ، ومن هؤلاء بطرس البحريني الذي قيل إنه كان آلة الفرس في فتح الاسكندرية بالخديعة والخيانة

وإذا كان المؤلف الفاضل قد جمع بين القصة والتاريخ هذا الجمع فانه لم يقع في خطأ وقع فيه كثير من القصصيين ، وذلك هو الخلط بين الخيال والحقيقة وما يترتب على ذلك من تشويه لكليهما ، فانه حرص على أن تكون وقائع التاريخ كلها صحيحة ، وبالغ في ذلك فجمل في هامش القصة ذكر بعض المراجع وبعض فقرات الايضاح ، واحتاط عند ذكر ما يتعلق بالرسول عليه الصلاة والسلام ، فما وقع منه فعلا نسبه إليه كما جاء في كتب السيرة ، وأما ما كان فيه مدخل للخيال فقد قال فيه : « وإخاله قد فعل » . فهذا الكتاب حلقة مجيدة من سلسلة مجيدة ظهرت في الأيام الأخيرة لبعض أعلام الأدب الحديث

وإنا إذا رأينا هذه النهضة المحمودة في إيراد حوادث التاريخ على هذا الأسلوب كان علينا أن نبتهج ونغتبط وأن نشكر هؤلاء الأدباء الأعلام الذين يمهدون لجمهور القراء مثل هذا الغذاء العقلي السليم . ولا أظن أن في استطاعة أحد أن يكافئ هؤلاء الأفاضل على ذلك المجهود الكبير ، اللهم إلا أن يكون رضاؤهم عن أنفسهم وشعورهم بأنهم قد أدوا للناس خدمة أدبية تفيد لغتهم الشريفة وتعمل على إعلاء نهضتهم المباركة . « فعلى هامش السيرة » للأستاذ الكبير الدكتور طه حسين و (محمد) للأديب الكبير توفيق الحكيم و « باب القمر » للأديب الكبير إبراهيم رمزي ثلاثة أعلام يجدر بالعصر الحديث أن يفاخر بها

ولقد حاولت في قراءتي لهذه القصة التاريخية أن أجد مأخذاً أدخله إلى مقالي حتى لا يكون كله صورة من الأعجاب الذي ملك على نفسي فلم أظفر من ذلك إلا برأي أظنه جديراً بأن يعرض ، وهو أن الاستطراد الكثير في سياق القصة كان كثيراً ما يضيع شيئاً من تماسكها

وأمر آخر لمحته في بعض المواضع وهو أن بعض القول كان على غير ما عليه الطبع . ومن ذلك أن سيدة كانت في موقف حزن عميق إذ فقدت زوجها وولدها « تخنقها العبرات وتحدرت الدموع على خديها متداركة كقطرات السقاء المخاخل ، ولم يستطع ورقة (الذي كان في موقف الصديق) أن يحبس دمعه لدى هذا المنظر المؤلم فبكى لبكائها ثم تمالك نفسه يقول : هوني عليك يا سيدتي . لا تضعفي نفسك بهذا الوجد ، أنت شابة وسرية كما أرى ، وستشرق عليك شمس حياة طيبة جديدة يوم تعودين إلى الأسكندرية ، وسيكون لك أولاد وزوج تحبينه . إن الله واسع الرحمة . ما أرجو منك إلا أن تمضي أمور الدنيا أمامك كما تضمين الكتاب ، وتقرئي فستجدين في هذا الكتاب مخطوطاً بقلم عريض كبير : لا تنظري إلى الوراء : أنظري إلى الأمام . إذا ورد عليك فكر مؤلم فرديه بيدك وسيري الى الامام لتباغي ما تمده الدنيا لشبابك وجمالك من النعمة والمتعة التي تنسين بها كل ما مضى الخ » . وإنني لأظن أن هذا القول ما كان يلائم أن يقال في مثل هذا الموقف ولا سيما من قائله (ورقة) . على أنني أرى مع ذلك أن مثل هذا النقد ناشئ من اختلاف في النظر والتفكير ، وما ينبغي أن يتفق الناس في مثل هذه الأمور كل الاتفاق

وأما لغة الكتاب فانها اللغة الجديرة بكاتب مجيد كإبراهيم رمزي جمع إلى لباقة الفنان متانة الأديب

فمرحباً بذلك الفتح الجديد في الأدب العربي . وما أحرانا أن نهنئ الأديب الكبير بنجاحه الباهر في قصته ، وأن نستنجزه الوعد الذي وعد به في آخرها أن يتحفنا بباب الشمس بعد أن أمتعنا بباب القمر .

جاءنا من صديقنا الدكتور عبدالوهاب عزام نقد لكتاب (معجم الأدباء) في طبعته الجديدة ، ومن الأستاذ الشيخ أحمد يوسف نجاتي الأستاذ بدار العلوم رد على نقد كتابه (نفح الطيب) . فأرجأناهما مضطرين الى العدد القادم

في المسرح المصري

الفرقة القومية المصرية

وسياسة إعداد المخرجين

لناقد الرسالة الفني

تحدثنا في العدد الماضي عن بعثات التمثيل إلى أوربا وانتخاب اللجنة لأربعة من الأعضاء؛ اثنين من الممثلين واثنين من غيرهم. ونزيد اليوم أن أسماء هؤلاء الأعضاء قد أذيعت، وقد استولت الدهشة على كل المتصلين بالمسرح والذين يعنون بشؤونه، لأن اللجنة ترسل واحداً إلى انجلترا لدراسة المناظر المسرحية وتصميمها، وبقية الأعضاء إلى ألمانيا وفرنسا لدراسة فن الاخراج والتمثيل ولم ترسل أحداً إلى انجلترا في حين أنها في مستهل الموسم أذاعت على الممثلين أنها ترى أن ينهجوا على الطريقة الانجليزية في أداء الأدوار لأنها أجدى على الفن؛ وهذا اعتراف صريح بما للمسرح الانجليزي من مكانة تفوق مكانة المسارح الأخرى

والثقافة الانجليزية هي الثقافة الغالبة والسائدة الآن ولا سيما بين الشبان منذ أصبحت الانجليزية اللغة الأوربية الأولى في المدارس المصرية. والأدب المسرحي الانجليزي لا يقوم على العواطف والحب والصلات غير الشريفة كالأدب المسرحي الفرنسي، بل هو يعالج الشؤون الاجتماعية والدراسات النفسية والآراء الاصلاحيـة، ولذلك يحتاج إلى وسائل خاصة في إخراج رواياته

ولست في حاجة إلى القول بان المسرح الانجليزي يقوم على البساطة في وسائله وطرق إخراجه، فقد رأينا فيما تعرضه الفرق الانجليزية على مسرح الأوبرا الملكية بالقاهرة شواهد عدة وهو في هذا عكس المسرح الفرنسي الذي يقوم على الصناعة والمغالاة والتعقيد في الاخراج. هذا إلى أن الاضاءة المسرحية في انجلترا قد تقدمت حتى بزت جميع المسارح الأوربية. فأزاء هذا نرى من واجب اللجنة أن تبعث بأحد الممثلين الذين يجيدون الانجليزية إلى لندن ليدرس الفن هناك

وإنما طالبت بأن يكون المبعوث ممثلاً لا متعلماً أيا كان لأن الممثل أقدر من غيره على تفهم وسائل الاخراج والقيام بهذه المهمة فيما بعد، فان من الصعب على غير الممثل وهو يخرج رواية أن يرشد الممثلين إلى أداء الأدوار أداء صحيحاً أو رد أي ممثل إلى حدوده الشخصية إذا ما خرج أو شذ عنها

ولقد ازددنا دهشة حين لم نجد اسم الممثل الأستاذ أحمد علام بين أعضاء البعثة، ففي تخطي اللجنة له الى غيره من الممثلين وغير الممثلين قسوة وإنكار لجهوده الطويلة ومواهبه العظيمة؛ فأعضاء اللجنة المحترمون أكثر من غيرهم معرفة بمكانته الأدبيـة وثقافته الانجليزية واطلاعه الواسع على فنون المسرح، ومكتبته عامرة بكتب الفن الانجليزية التي ازدحمت هوامشها بالملاحظات الجديرة بالتقدير، كما نعلم أن وزارة المعارف قد عهدت اليه بتدريس الفن المسرحي في مدارسها الأميرية، فقام بالمهمة خير قيام، وهو كممثل من أقدر الممثلين، فأدواره في رمسيس منذ عام ١٩٢٦ تشهد بنبوغه، فلا يستطيع إنسان أن ينكر أدواره في روايات: الحب، والذئاب، والاغراء، وتوسكا، والشرف، وغرام الوحش؛ ولنجاحه المنقطع النظير في فرقة السيدة فاطمة رشـدي في روايات: الحب المحرم، والبعث، ويوسف الصديق، ومجنون ليلى

ولقد أرسلته وزارة المعارف عام ١٩٣١ في بعثة صيفية إلى انجلترا، فمن الواجب أن تعاونه اللجنة على إتمام دراسته، ولا أظن أن هنالك مجالا للاعتذار لأن في بقائه تعزيزاً لقوة الفرقة القومية، فالواقع يؤيد أنها لا تنتفع به كما يجب فهو حتى اليوم لم يظهر على المسرح ولا ينتظر ظهوره حتى الرواية الرابعة، وعلى اللجنة ألا تنظر إلى المنفعة القريبة بل تنظر للمستقبل، وتعمل للبناء حتى عكنها أن تجني ثمار جهودها الكبيرة

هذه كلمة دفعنا اليها حبنا للمسرح نرجو أن يكون لها أثرها

يوسف